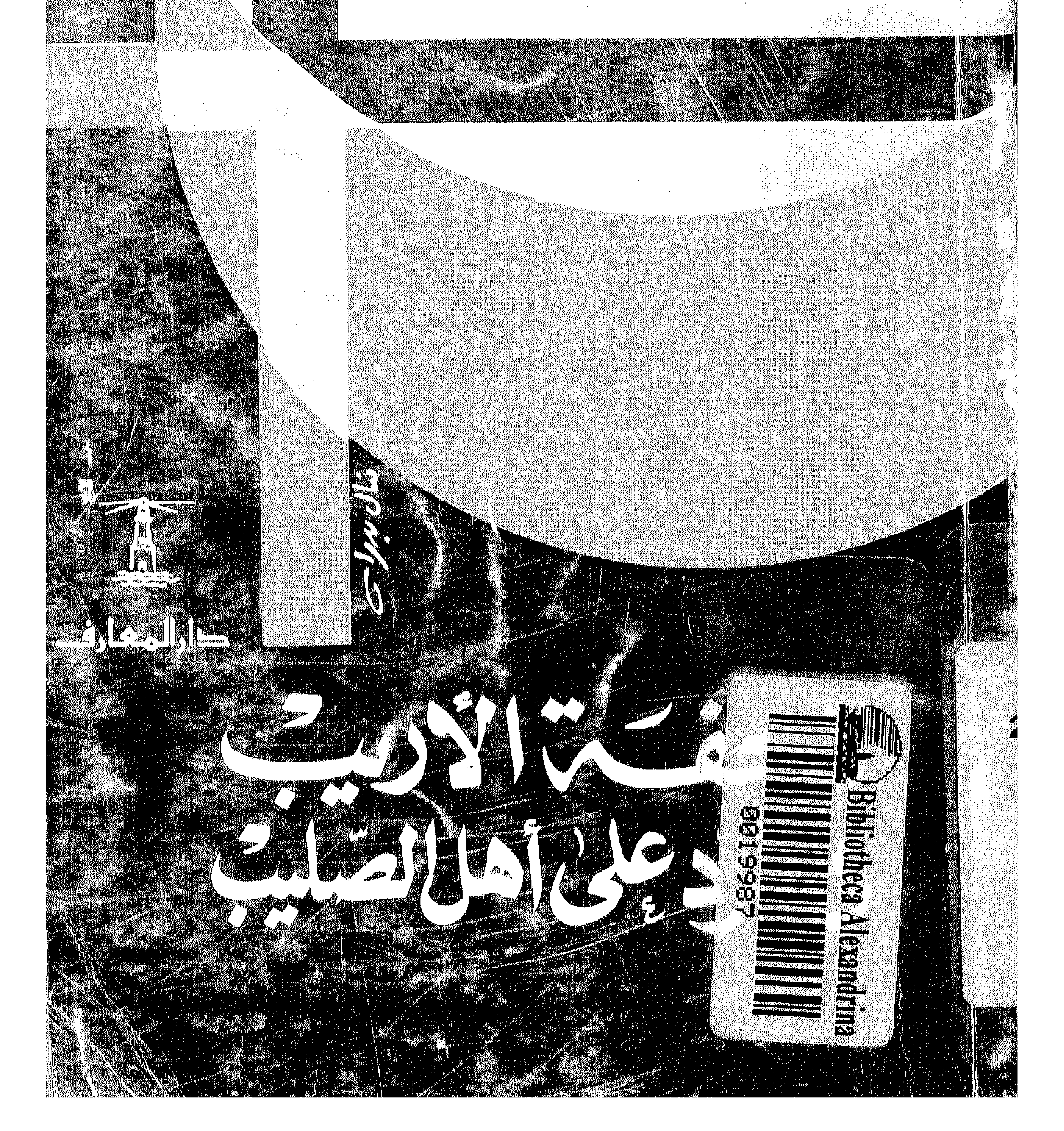
للقس انسلم تورميدا

الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي

تقديم وتحقيق وتعليق : دكتور محمود علي حماية



تحفة الأريب
في الرّدّ على أهل الصليب

للقس إنسِلْم تُورميدَا
الشهير بعبدالله الترجمان الأندلسى

تقديم وتحقيق وتعليق

دكتور محمود على حماية

أستاذ ورئيس قسم الدعوة

بجامعة الأزهر بأسيوط

الطبعة الثالثة



دار المعارف

تصميم الغلاف : منال بدران

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - **القاهرة** - ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى روح أستاذى الحبيب
الأستاذ الدكتور محمد البهى
وزير الأوقاف الأسبق
الذى غرس فى قلبى حب الإسلام

محمود على حماية

رأى مجمع البحوث الإسلامية فى هذا الكتاب

عرض هذا الكتاب على إدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية فحولته على فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير لفحصه وإعطاء رأيه فى مادته ونشره، فكتب تقريرًا مطولاً جاء فى نهايته ما يلى:

«علم مما تقدم أن مؤلف هذا الكتاب كان مسيحيًّا أسبانيا من جزيرة ميورقة، وكان اسمه قبل أن يسلم (إنسلم تورميدا)، وأن الله تعالى هداه إلى الإسلام فسمى نفسه عبد الله، وأضيف إليه لقب الترجمان لأنه اشتغل بالترجمة لسلطان تونس بعد إسلامه، وقد ألف هذا الكتاب باللغة العربية سنة ٨٢٣ هجرية، وترجم إلى الفرنسية ونشر فى مجلة تاريخ الأديان بباريس سنة ١٨٨٥م.

وقد حققه الدكتور محمود على حماية من أربع نسخ مخطوطة باللغة العربية، والكتاب يشتمل على بيان السبب فى إسلام المؤلف، وعلى عرض لعقائد النصارى ورده على هذه العقائد، وعلى تضارب الأناجيل وأن ذلك يقطع بأنها من تأليف أصحابها، كما ردّ على ما عابه النصارى على المسلمين، فأقام الأدلة على نبوة محمد ﷺ من أناجيلهم وبشارات أنبيائهم.

هذه خلاصة مختصرة لما كتبناه مفصلاً فى تقريرنا عن هذا الكتاب أخذًا من نصوصه، والكتاب لم يتجاوز الحقائق التى قررها القرآن الكريم عن النصرانية وعقائدها، وشهادة هذه الكتب بصحة رسالة نبينا محمد ﷺ التى حاولوا طمسها مع وضوح نصوصها، لذا لا نرى مانعًا من طبع كتاب

(تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب) لعبد الله الترجمان، فقد سبق طبع ونشر مثله، ككتاب (الله واحد أم ثالوث) للأستاذ محمد مجدى مرجان الذى كان مسيحيًّا وأسلم، فقد نشرته دار النهضة العربية بشارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة، وكتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للإمام الغزالى، فقد حققه الأستاذ عبد العزيز عبد الحق ونشره له مجمع البحوث الإسلامية ومن قبل ترجمه إلى الفرنسية (الأب روبير شدياق) ونشر فى باريس سنة ١٩٣٩م.

كما سبق نشر كتاب (محاضرات فى النصرانية) للشيخ محمد أبى زهرة أستاذ الشريعة بكلية الحقوق وعضو مجمع البحوث الإسلامية - سابقا - عليه رحمة الله.

ولا شك أن فى طبع مثل هذا الكتاب مساعدة على المقارنة بين الأديان التى أصبحت علما يدرس فى جامعة الأزهر، وغيرها من الجامعات الأجنبية، والله تعالى ولى التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١ من ربيع الثانى سنة ١٤٠٤هـ
١٩٨٤/١/١٤م

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وقد رأيت أن أستطلع رأى فضيلته فى الكتاب بعد أن قرأت هذا التقرير فأدلى بالتصريح التالى:

حينما عرض هذا الكتاب علىّ كنت مشغولاً بأعمال شتى لمجمع البحوث الإسلامية، وكنت بصدد الاعتذار عن قراءته، لولا ما رأيته فيه

من أمور شدت انتباهى إلى قراءته ففحصته بعناية دقيقة فأعجبنى فيه أمران، أولهما أنه يحتوى على شهادة عالم مسيحى متبحر بأن نعت النبى ﷺ موجود فى كتب المسيحية بصراحة، فقد بشرت (بالفارقليط) ومعناه (أحمد) وهو الذى جاء فى القرآن الكريم فى بشارته بمجيئه ﷺ ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وأنه ردّ على تحامل المسيحيين على الإسلام من نصوص كتبهم. وأن مؤلفه اهتدى إلى الإسلام بعد أن عرف طريقه إليه من نصوص هذه الكتب.. والأمر الثانى الذى أعجبنى فيه عناية فضيلة الدكتور محمود على حماية بتقديمه وتحقيقه والتعليق عليه بأمانة ودراية وسعة اطلاع، وهذا اللون من التحقيق يسرنى أن يكثر بين أبنائنا العلماء، فإن الجهاد بالعلم لا يقل شأنًا عن الجهاد بالسيف، وربما كان فى هذا الوقت أمضى وأبلغ فى الوصول بالناس إلى الحق وإنقاذهم من حيرتهم التى يعيشون فى ظلامها الدامس، وأرجو أن ينفع الله قرّاء هذا الكتاب، وأن يفتح به قلوبًا غلفًا حتى تبصر النور وتهتدى إلى سواء السبيل، كما أرجو أن يثيب محققه على جهده المخلص فى تحقيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تقديم

لفضيلة الأستاذ الشيخ صالح شرف عضو مجمع البحوث الإسلامية وأستاذ أساتذة العقيدة الإسلامية.

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد المنزه عن اتخاذ الصاحبة والولد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله المنزل عليه القرآن الكريم الذى حفظه الله من التحريف والتبديل كِتَابٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على ملته واتبع هديه إلى يوم الدين.

وبعد..

فإنى قد اطلعت على كتاب تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب وعلى تحقيق العلامة الشيخ محمود على حماية المدرس بكلية أصول الدين بأسيوط، فوجدت التحفة أصل التحقيق كتابًا جليل القدر شاهد صدق على الافتراء والبهتان من الذين يدعون أن كتبهم الأناجيل الأربعة من وحى السماء، كما يدعون فى عيسى تارة أنه إلاه، وتارة أنه ابن الله، وتارة أنه ثالث ثلاثة إلى غير ذلك من الافتراء والضلال.

كما أن التحقيق شرح بعض الألفاظ، واعتمد على بعض النسخ الموجودة فى دار الكتب وترجم للبلدان والأشخاص، وخرج الأحاديث إلى غير ذلك من التنسيق والتهذيب ووضع الأبواب والفصول، ولما كان القرآن الكريم حسم النزاع فى قصة مريم وابنها عيسى عليه السلام وأنه

بشر أوحى إليه، وأنه عبد من عباد الله اصطفاه الله لرسالته وأعطاه الكثير من المعجزات للدلالة على صدقه، وأنه تعالى جعله يتكلم فى المهد كلام العقلاء فقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كنتُ﴾ قال ذلك على مسمع ومرأى ممن تقولوا على مريم ورموها بالسوء والفحشاء.

ولما كان أهل الكتاب ينكرون القرآن الكريم جحودًا واستكبارًا عن قول الحق، ويحرفون ويبدلون فى كتبهم اتباعًا للهوى والشيطان، فقد سخر الله ناسًا قديمًا وحديثًا من أهل الكتاب الذين أوتوا الحكمة والتبصر والفكر السليم فهداهم الله للإسلام عن إذعان ويقين، وأن ما كانوا عليه زور وضلال وإفك مفترى، فبينوا للناس حقيقة ما فى هذه الكتب من اختراعات وترّهات..

ومن هؤلاء الذين اهتدوا بهدى الإسلام صاحب تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب، وقد كان قسا وراهبًا طالع ما فى كتبهم، وقارن بينها وبين الكتاب الكريم فوجد الحق واضحًا فيما قصه القرآن الكريم فى شأن عيسى عليه السلام، وبين أن أناجيلهم الأربعة من اختراعهم وأنها ألفت بعد رفع عيسى إلى السماء.. وهو خير شاهد على ذلك لأنه كان من النصارى ويعرف عبادتهم وادعاءهم فى عيسى عليه السلام، فهداه الله إلى الحق فأسلم عن يقين، ولم يكن هناك داع آخر إلى إسلامه إلا الحق، ثم ألف هذا الكتاب وبقى زمنًا كثيرًا فى خزائن المكتبات إلى أن قيض الله له الأستاذ الفاضل الدكتور محمود حماية فأخرجه من الظلمات إلى النور، وكان هذا عملًا جليلًا منه، ولو لم يكن له عمل غير هذا الكتاب لكفاه هذا العمل عند الله والناس، فجزاه الله خير ما يجازى به العاملون.

وفى الحق أن هذا العمل الجليل من المحقق بإخراج هذا الكتاب وتعليقه فى الهامش قد أضاف تراثًا خالدًا إلى تراثنا القديم، وأضفى للمكتبات نوعًا

جديدًا ومبتكرًا بهذا التحقيق المفيد.. وإنا لنرجو منه المزيد من تحقيق مثل هذا الكتاب من الكتب التى لم تنشر، والتى هى حبيسة الخزائن يعلوها التراب ويعرضها للتلف والضياع مع أن مؤلفيها قصدوا منها النفع العام والدفاع عن الإسلام.. ومما يشرح صدورنا ويطمئننا أن كثيرًا من شبابنا المثقفين خاصة فى الدراسات العليا نهضـوا وفتشوا عن الكتب الأصيلة وأخرجوها فى أبحاثهم، وفى مقدمة هؤلاء وهؤلاء الدكتور حماية الذى له نشاط ملحوظ فى هذا المضمار فهو كثير البحث والاطلاع على دور الكتب كى يعثر على نفيس من هذه الكتب، التى لم تر النور فيخرجها من قبورها، ثم يقدمها بعد تحقيقها غير مبال بالمال والتعب لأن فى ذلك خير ما ينفق فى سبيل الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، نسأل الله له المزيد من هذا النشاط العلمى المفيد، ليبارك الله فى نشاطه وصحته وماله نفع الله به الكلية خاصة والأمة الإسلامية عامة.

صالح شرف
عضو مجمع البحوث الإسلامية
وأستاذ فى الدراسات العليا
قسم العقيدة والفلسفة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد، الذى ختم الله بـه الأنبياء والمرسلين، وجعل رسالته عامة للبشر أجمعين..

وبعد: فإننا نقدم إلى قراء العربية كتابًا من أجل الكتب التى ألفت فى علم مقارنة الأديان، الذى يعرف عند الغربيين باسم Comparative Religion ألفه الشيخ عبد الله الترجمان الذى كان قبل إسـلامه قسيسًـا فى جزيرة ميورقة (إحدى جزر البليار شرقى الأندلس)، ثم قدم تونس فى زمن أمير المؤمنين أبى العباس أحمد الحفصى وأسلم، وأولاه قيادة البحر بالديوان، وبعد إتقانه اللغة العربية صار يترجم من الإيطالية والفرنسية إلى العربية.. وهذا الكتاب أطلق عليه صاحبه: «تحفة الأريب[1] فى الرد على أهل الصليب» ويقول المستشرق الأسبانى «آسين بلاثيوس»: إن عبد الله الترجمان مؤلف هذا الكتاب كان قبل إسلامه قسيسًا يدعى إنسلم تورميدا Encelm Turmeda وأن كتابه «تحفة الأريب» ترجم إلى آلفرنسية، ونشر فى مجلة تاريخ الأديان (المجلد الثانى عشر باريس سنة ١٨٨٥ م)..

ولا يسعنا إلا أن ننوه بحرية الفكر التى وصل إليها علماء الغرب عندما يعنون بنشر كتب تدافع عن الإسلام، ولم تمنعهم صفتهم الدينية باعتبار بعضهم رهبانًا يسوعيين من إحياء تراث قد يمس عقائدهم من قريب أو من بعيد.

---

(١) الأريب: العاقل.

وإذا كان هؤلاء الآباء قد سبقونا فى نشر هذا الكتاب باللغة الفرنسية بعشرات السنين، فنحن بمثل هذه الروح نقدم هذا الكتاب محققًا إلى وطننا العربى، لا لبعث مجادلات دينية لا طائل تحتها إزاء مشكلات العصر الحديث، وإنما لتتبع إحدى نواحى التفكير الدينى فى الثقافة العربية التى لم تبتعد عما دعا إليه الإسلام من توكيد مبدأ التسامح وتوثيق مشاعر الألفة بين المسلمين والمسيحيين(٢).

وليس الكتاب الذى بين أيدينا الآن هو الكتاب الوحيد الذى سبقنا علماء الغرب إلى نشره ولفت الأنظار إليه، إنما يرجع إليهم الفضل - أيضًا - فى كشف رسالة الإمام أبى حامد الغزالى: «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل» حيث نهض الأب روبير شدياق اليسوعى بتوجيه من أستاذه ماسينيون بتحقيق النص العربى لهذه الرسالة، ثم ترجمه إلى الفرنسية ونشره فى باريس سنة ١٩٣٩م.

ويؤسفنا أن الرسالة ظلت بعيدة عن القارئ العربى - الذى كتبت له - حتى عام ١٩٧٣م عندما قام صديقنا العلامة عبد العزيز عبد الحق بنشرها فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

أما موسوعة ابن حزم فى الأديان التى تعرف، «بالفصل فى الملل والأهواء والنحل» والتى استطاع صاحبها أن يقدم دراسة نقدية للعهدين القديم والجديد أثبت خلالها تحريف هذه الكتب، وأنها من وضع البشر، وليست من لدن حكيم عليم.

أقول: إن هذه الموسوعة توفر على دراستها وترجم بعض أجزائها إلى الأسبانية الراهب الأسبانى «أسين بلاثيوس» وأصدرها فى خمس مجلدات فى مدريد من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣٢م

(٢) راجع: الأستاذ عبد العزيز عبد الحق، مقدمة الرد الجميل ص٣.

ولست الآن فى مجال حصر الأبحاث والدراسات الإسلامية الجادة التى ترجمها أو حققها علماء غربيون لا يدينون بالإسلام. وإنما الذى نشير إليه أن آفاق البحث العلمى يجب أن تظل بمنأى عن الصراعات الطائفية، وأن هذه المجادلات كانت تجرى فى القديم بين المسلمين وأهل الذمة فى جو من السماحة وحسن المعاشرة فيما بينهم.. والذى يطالع القرآن الكريم والسنة النبوية يجد من خلالها دعوة للمودة الحانية على أهل الكتاب. وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلَٰهُنَا وَ إِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣].

وقول نبى الإسلام ﷺ «من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»[٤].

ولقد حكى التاريخ أن أهل الذمة عاشوا طوال أربعة عشر قرنًا فى الدولة الإسلامية يجدون كل سماحة ويسر، لهم مالنا وعليهم ما علينا.

وانطلاقًا من هذه النظرة الخيّرة ازدهر علم مقارنة الأديان وألف فيه علماؤنا الأجلاء كتبًا نضّرت وجه التاريخ.

ومن أقدم الرسائل التى كتبت فى هذا المجال رسالة للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ أسماها: «الرد على النصارى» سعى فى نشرها يوشع فنكل وطبعت فى المطبعة السلفية سنة ١٣٨٢ هـ، وفى هذه الرسالة نرى مؤلفها على ما عرف عنه من ذكاء وألمعية، أنه لم يدرك – حسب ما يبدو لنا –

---

(٣) سورة العنكبوت: آية ٤٦.

(٤) ذكره السيوطى فى الجامع الكبير ١/٢٠٩ طبعة الهيئة المصرية للكتاب، وذكره أبو يوسف فى كتاب الخراج.

غور عقائـد الفرق المسيحيـة المختلفة، فهـو حائـر فى فهم تشقيقاتهـا واستجلاء غوامضها، إستمع إليه وهو يقول: «ولو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسيح، لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية، وخاصة قولهم فى الإلهية، وكيف تقدر على ذلك، وأنت لو خلوت ونصرانى[٥] نسطورى فسألته عن قولهم فى المسيح لقال قولاً، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله، فسألته عن قولهم فى المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان»[٦].

وقد كان اليعقوبى المتوفى سنة ٢٩٢هـ من المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن ملوك الروم المتنصّرة (١/١٥٣)، وخاصة قسطنطين الذى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وحضره ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا.. ثم يعطينا فكرة عن عقيدة نسطور الذى كان يقول إن: «الأب ولد الإله ولم يلد الإنسان، والأم وَلَدتْ إنسـانا، ولم تلد الإلـه» وتحت عنوان: «المسيـح عيسى بن مريم» (١/٦٨) يورد اليعقوبى دراسة عن الأناجيل مما يؤكد اطلاع المؤلف عليها.

أما المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ فقد أورد مبحثًا عن المسيحية فى كتابه الموسوم «بالتنبيه والإشراف» (من ص١٣٥ إلى ص١٦٥).

ومن الكتّاب الإسلاميين الذين عـرفوا بـالدقـة فى حكايـة مقالات النصارى أبو الريحان البيرونى الخوارزمى المتوفى سنة ٤٤٠هـ، فقد قدم لنا معلومات مستفيضة فى كتابه: «الآثار الباقية عن القرون الخالية» عن

---

(٥) الصحيح: نصرانيا نسطوريا.

(٦) الجاحظ: الرد على النصارى ص ٢٢.

الأناجيل مبينًا أنها أربع نسخ، كل إنجيل يخالف ما فى الآخر، وقد أكد قوله بما أورده متى ولوقا عن نسب المسيح (عليه السلام). ثم نراه يحدثنا عن فرق النصارى ومذاهبهم، مشيرًا إلى فرقة أريوس الذى كان رأيه فى المسيح أقرب إلى ما عليه أهل الإسلام وأبعد مما يقول به كافة النصارى على حد تعبيره.

ويتحدث البيرونى حديثًا شيقًا عن مراتب زعماء النصارى الكهنوتية وشعائرهم الدينية، مثل المعمودية وغيرها.

ومهما يكن من أمر، فقد عقد المستشرق «كارا دى فو» مقارنة بين ما كتبه البيرونى والمسعودى عن المسيحية، وبين أن البيرونى كان أكثر معرفة من المسعودى (بالمسيحية)، وكان يعرف كثيرًا من نصوص الأناجيل، ويتحدث عن هذه النصوص فى شىء من النقد[٧].

وللإمام زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردى كتاب فى التاريخ أورد فيه لمعًا عن أمة النصارى (١/١٠٤) فذكر فرقهم - نقلاً عن الشهرستانى - وتحدث عن صلوات النصارى وصومهم وأعيادهم حديثًا يدل على وعى ودراية (١/١٠٦).

أما موسوعة القلقشندى التى تعرف «بصبح الأعشى» فلا ريب أنها تحتوى على كثير من المعلومات القيمة عن الديانة النصرانية، ففيها حديث مفصل عن عقائدهم، وفرقهم، وأعيادهم، وألقاب أرباب وظائفهم كالبابا والبطرك، والأسقف، والمطران وغير ذلك من الألقاب التى أوصلها القلقشندى إلى ثمانية.

أما المقدسى فقد أورد فى كتابه: «البدء والتاريخ» مباحث هامة عن

---

(٧) مادة إنجيل (دائرة المعارف الإسلامية).

الديانة النصرانية تناول فيها فرقهم التى تتفق على أن معبودهم ثلاثة أقانيم وهذه الأقانيم شيء واحد..

ثم يتكلم عن عقيدة التجسد والصلب والقيامة، وبعد أن أورد اختلافاتهم، وأنه لا يكاد يوجد منهم اثنان على قول واحد، نراه يعقب قائلاً: «وليس هذا موضع الرد عليهم».

وهناك كتاب مفقود للإمام أبي الحسن الأشعرى يدعى كتاب «الفصول» رد فيه - الأشعرى - على اليهود والنصارى(٨).

ومن المؤلفات القيمة التى نشرت فى مصر «كتاب الأجوبة الفاخرة» لأحمد بن إدريس القرافى المالكى المتوفى سنة ٦٨٤هـ، وكتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لتقى الدين أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ، وكتاب «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ.

ومن الرسائل الأخرى القصيرة التى كتبها الأندلسيون رسالة كتبها أبو القاسم القيسى فى الرد على النصارى، وقد نشر أسين بلاثيوس النص العربى لها مع ترجمته إلى الأسبانية فى سنة ١٩٠٩م.

وهناك كتاب آخر لابن أبي عبيدة (بفتح العين المهملة) الأنصارى الخزرجى المتوفى سنة ٥٨٢هـ رد فيه على بعض القسيسين فى طليطلة أسماه: «مقامع الصلبان فى الرد على عبدة الأوثان» وقد قام الأستاذ الدكتور محمد شامه بتحقيقه ونشره بعنوان: «بين الإسلام والمسيحية».

فإذا ولينا وجهنا شطر الكتب الحديثة وجدنا العديد من المؤلفات التى تتحدث عن النصرانية وتناقش عقائدها وتؤرخ لها.. ولكن وسط الخضم

---

(٨) عبد العزيز عبد الحق: مقدمة الرد الجميل ص ٧٨

الهائل من هذه المؤلفات، يمكن أن نشير إلى الدراسة الجادة التى قدمها الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه: «محاضرات فى النصرانية».

وخير من هذا الكتاب - وخاصة للمتخصصين - كتاب العلامة رحمة الله الهندى: «إظهار الحق» الذى يدل على قوة عقله وسعة علمه، فهو - بحق - من أحفل الكتب وأجلها التى ألفت فى عالمنا العصرى، وما من باحث أو دارس إلا رجع إليه، واستقى من فيض علمه، وبحر معارفه..

وكتاب «تحفة الأريب» الذى بين أيدينا الآن تبدو قيمته العلمية عندما ندرك - كما سبق أن ذكرنا - أن صاحبه كان قريب عهد بالمسيحية، بل واحدًا من قسيسيها تلقى دراسة فى الكتاب المقدس، وانقطع لطلب العلم فترة طويلة استطاع أن يصحب فيها أساطين العلم بالديانة النصرانية أمثال: (نقلاد مرتيل) الذى كانت منزلته فى العلم والدين عند النصارى رفيعة جدًّا، انفرد بها فى زمنه عن جميع أهل دين النصرانية[٩]. واستطاع المؤلف من خلال رحلاته لطلب العلم أن يحصل الكثير من العلوم والمعارف فقرأ الإنجيل حتى حفظ شطره، وأخذ فى تعلم العلوم الأخرى مثل المنطق والطب والتنجيم.. وقد أحاط بعديد من اللغات يمكن أن نذكر منها الأسبانية والإيطالية والفرنسية واليونانية، وقد أشار إلى اللغة الأخيرة بقوله: «ثم أخذت فى تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق مدة ست سنين» ويقول فى موضع آخر: «ثم تصدرت فيها - أى مدينة لاردة بأسبانيا - أقرأ الإنجيل ولغته ملازمًا ذلك مدة أربع سنين».

ثم أضاف إلى ذلك معرفته باللغة العربية التى تعلمها بعد إسلامه عندما عمل قائدًا فى البحر، يترجم بين النصارى والمسلمين حتى حفظ اللسان

---

(٩) انظر ص٤١.

العربى فى مدة عام لكثرة ما يتكرر عليه - على حد تعبيره[١٠].

وتبدو مكانة المؤلف وتمكنه من علوم الديانة النصرانية من شهادة علماء النصارى له، عندما سألهم عنه أبو العباس أحمد الحفصى فقالوا: «هذا يا مولانا عالم كبير فى ديننا وقال مشايخنا ما رأينا أعلى منه درجة فى العلم والدين فى ديننا»[١١]. ومن ثم فنحن نؤكد أن: «إنسلم تورميدا» مؤلف هذا الكتاب كان دخوله فى الإسلام باختياره رغبة فى دين الحق، فهو إيمان عن رغبة وعن علم ومعرفة، وليس عن تقليد وتبعية، فهو أشبه بكبار الفلاسفة الذين يدخلون الإسلام فى عصرنا الحاضر أمثال روجيه جارودى، وموريس بوكاى، وغيرهما من فلاسفة الغرب وعلمائه.. ومما يؤكد ماذهبنا إليه أن قسيسًا جاءه من أرض الأندلس ليأخذه بالصداقة التى كانت بينهما، فرفض الرجل أن يعود للنصرانية مرة أخرى، وقال للخليفة فى عهده فى قوة وإباء: «يامولاى أسلمت باختيارى رغبة فى دين الحق»

وعندما نتأمل قصة إسلام صاحب هذا الكتاب ندرك أمورًا ينبغى أن نقف عندها:

أولا:

(أ) أن كثيرًا من العلماء والمفكرين عندما يتجردون من الأهواء، لا يترددون فى اختيار ما يرونه حقًّا، سواء أكان هذا الحق مذهبًا، أم فلسفة، أم ديانة، ونحن نجد أمثلة على ذلك فى القديم والحديث، ففى القديم: نجد عبد الله بن سلام، وعبد الله الترجمان (صاحب هذا الكتاب) وغيرهما.. وفى الحديث نجد الفيلسوف الفرنسى جارودى، والعالم الطبيب

---

(١٠) انظر ص٤٩.

(١١) انظر ص٤٨.

موريس بوكاى، الذى درس الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة فى كتاب صدر باللغة الفرنسية، ثم ترجم إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات الحية. واستطاع المؤلف فى هذا الكتاب القيم أن يثبت بالأدلة العلمية أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذى خلا من التحريف والتبديل.

(ب) يمكن أن نأخذ من قول «نقلاد مرتيل» - شيخ عبد الله الترجمان - «وأنا الحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به يعلم الله ذلك منى» أنه كان مسلمًا بينه وبين الله، والذى منعه من إعلان إسلامه خوفه من بنى جلدته من جانب، وحبه للدنيا من جانب آخر، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، كما ذكر هو عن نفسه.

(جـ) وأحسب أن كثيرًا من علماء الأديان الأخرى وأئمتهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، وما يمنعهم من إعلان الحق والحقيقة إلا تلك الأسباب التى أشار إليها «مرتيل» فالرغبة والرهبة كثيرًا ما تبعد عن الحق وتصد عن السبيل..

ثانيا: وصف النسخ:

اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على المخطوطات الآتية:

النسخة الأولى:

- ورقمها فى دار الكتب المصرية (علوم اجتماعية ٢٤٣).
- وعدد أوراقها: أربعة وثلاثون ورقة.
- وتاريخ نسخها: سبع بقين من شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٦ هـ.
- مسطرتها: ثلاثة وعشرون سطرًا، ومعدل كلمات السطر عشر كلمات.

- وكتبت النسخة بخط جيد.
- وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف: « أ ».

النسخة الثانية:

- وهى موجودة بدار الكتب تحت رقم ٤٨٩.
- وعدد صفحاتها ثلاث وسبعون صفحة.
- ونسخها: عبد الكريم بن عبيد العمرى.
- وتاريخ نسخها: يوم الأحد تسع وعشرون من ربيع الأول من شهور سنة ١٢٤٥ هـ.
- وكتبت النسخة بخط عادى.
- بها بعض التصحيحات فى الهامش، وكذا شرح لبعض الكلمات.
- وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ب».

النسخة الثالثة:

- وتوجد بدار الكتب تحت رقم (علم الكلام ١٣٠١).
- وتاريخ نسخها: الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٦٢ هـ.
- وعدد أوراقها: ست وتسعون ورقة.
- مسطرتها: ثلاثة عشر سطرًا.
- وكتبت النسخة بخط عادى.
- وصفحة العنوان مكتوب عليها ما يأتى:

«هذا كتاب تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال».

وتحت هذا مباشرة: «مشترى من تركة قاسم باشا وأضيف - ٢٦ أبريل سنة ١٨٨١ هـ».

– وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف: «ق».

النسخة الرابعة:

وتقع فى ثنتين وستين صفحة من الحجم الصغير.

– كتبت بخط دقيق.

– وطباعتها ليست جيدة.

– بها بعض الحواشى التى تنتسب لرجل يدعى «الشيخ عبد الله بك».

– وصفحة العنوان لايوجد عليها إلاعنوان الكتاب «تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب» وتحته للشيخ عبد الله الترجمان. وليس عليها ذكر للمطبعة التى طبعت فيها أو تملك أو شراء أو غير ذلك.

– وفى الصفحة الأخيرة كتب تاريخ سنة ١٢٩٠.

ثالثا: منهجى فى التحقيق:

اتبعت فى تحقيق هذا الكتاب ما يلى:

١ – قمت بكتابة نسخة من الكتاب عن النسخة المطبوعة وعرضتها عليها وعلى النسخ الأخرى مثبتًا للفروق بين النسخ المختلفة.

٢ – ثم عدت أقرأ نص الكتاب بتأمل وتدبر، فإذا عرضت لى كلمة أو عبارة اختلفت النسخ فيها، دققت النظر واستعنت بالمراجع المختلفة، ثم تخيرت الأصوب، أو الأنسب، أو الأقرب لروح المؤلف من تلك الروايات فوضعته فى صلب الكتاب، ووضعت ما يقابله من النسخ الأخرى فى الحاشية، ولم ألتزم بلفظ نسخة بعينها.

٣ – تركت فروق النسخ التى لا تغير المعنى، ولا تفيد فى تقويم النص

وذلك مثل التقديم والتأخير، وعبارات الثناء على الله سبحانه وعبارات الصلاة على سيدنا محمد ﷺ، وقد كانت رغبتى من وراء ذلك تخفيف هوامش الكتاب.

٤ – صححت الآيات القرآنية والأخطاء النحوية التى ترجّح عندى أنها من الناسخ دون إشارة إليها فى الهامش.

٥ – ترجمت للأعلام التى وردت فى ثنايا الكتاب وبينت مواضع الآيات الكريمة، وخرجت نصوص التوراة والإنجيل التى وردت فى الكتاب مشيرًا إلى السفر والأصحاح ورقم الآية، وإذا وجد اختلاف فى المعنى بين العبارة التى يوردها المؤلف وبين الترجمة الحديثة كنت عادة أذكر نص الترجمة الحديثة للبروتستانت حتى يظهر الفرق بين الترجمتين.

٦ – عرّفت بالأماكن التى وردت فى الكتاب مستعينًا بأمهات الكتب الخاصة بذلك، كما استعنت بالمعاجم الحديثة لما تمتاز به من توضيح وبيان..

وبعد :

فلقد عشت مع العلامة عبد الله الترجمان، وكتابه «تحفة الأريب» فترة ليست بالقصيرة، أنسخ النص وأراجعه وأخلصه من شوائب التحريف والتصحيف، وأستكمله من هذه النسخة أو تلك، وأقابله بهذا المرجع أو ذاك، وأناقش قضاياه، وأحل مشكلة، وأوضّح معضله..

وقديما قال الجاحظ: «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعنى، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام».

ورحم الله الجاحظ.

ورحم الله مؤلف هذا الكتاب.

وأعان كل باحث يعمل بجد ومثابرة لتحقيق تراثنـا، وإشاعتـه بين العالمين.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مصر الجديدة

٢٩ ذو الحجة ١٤٠٣هـ

الموافق ٦ أكتوبر ١٩٨٣م

دكتور/ محمود على حماية

تحفة الأريب

فى الرد على أهل الصليب

للعلامة عبد الله الترجمان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله وحده، وإليه يرجع الأمر كله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الله الترجمان[1]، جعل الله مضجعه ومأواه فسيح الجنان.

لما منّ الله على بالهداية إلى الصراط المستقيم، والدخول فى دين الله القويم، الناسخ[2] لكل دين، الذى بعث به حبيبه وصفيه محمدًا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ونظرت فى دلائله القاطعة، وبراهينه الساطعة، فإذا هى لا تخفى على من له أدنى تمييز، إلا[3] من لا يبصر بيض النعام من الشونيز[4].

ووجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين - رضى الله عنهم - محتوية على ما لا مزيد عليه، إلا أنهم - رحمهم الله - قد سلكوا فى معظم احتجاجهم

---

(١) الترجمان: هو الذى ينقل الكلام من لغة إلى أخرى.. وفيه لغات ثلاث: الأولى فتح التاء والجيم معا والثانية: ضمهما معا، والثالثة: فتح التاء وضم الجيم (انظر: الخزاعى التلمسانى: تخريج الدلالات السمعية).

(٢) (الناسخ لكل دين) من أ، ب.

(٣) أ: «إلا على من»

(٤) (من الشونيز) سقطت من ط، وفى « أ » فى الشونيز، والصحيح ما أثبت. والشونيز: هو الحبة السوداء.

على أهل الكتاب من النصارى واليهود مسلك مقتضيات المعقول - إلا الحافظ[(٥)] أبو محمد[(٦)] ابن حزم[(٧)] - رحمه الله - فإنه قد رد عليهم بالمعقول والمنقول، خصوصًا[(٨)] ما فى كتبهم - وأعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول، إلا فى نادر من المسائل.

فكنت شديد الحرص على أن أضع فى الرُد عليهم موضوعًا بطريق النقل وحقيقة الإنصاف، الذى يجمع بين النقل والقياس، وتتفق عليه العقول والحواس، أبين[(٩)] فيه باطلهم، وما أسسوه [(١٠)] من القول بالتثليث، والأخذ بذلك المذهب الخبيث، وأذكر مع ذلك أناجيلهم ومن ألفها، وشرائعهم ومن صنفها، وفساد[(١١)] عقولهم، وإبطال كفرهم فى منقولهم،وافترائهم على عيسى المسيح، وكذبهم على الله فى أمره بالصريح[(١٢)]. وأذكر مقال القسيسين واعتقادهم واحتيالهم[(١٣)] وتركهم

(٥) فى المخطوطة: بل الحافظ، والصحيح ما أثبت.

(٦) فى المخطوطة: محمد، والصحيح: «أبو محمد» وهى كنية الإمام ابن حزم التى وردت فى كتبه.

(٧) هو الإمام أبو محمد على بن سعيد بن حزم القرطبى الأندلسى. كان حافظًا عالمًا بعلوم الحديث وفقهه مستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة، قال عنه صاعد ابن أحمد الأندلسى: «كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعة فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار» وذكر المترجمون له، نقلًا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليفه نحو أربعمائة مجلد ومن أشهر هذه المؤلفات كتابه الكبير: «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» الذى قمت بدراسته وتحقيقه فى رسالتى للدكتوراه.. توفى رضى الله عنه سنة ٤٥٦ هـ.

(٨) (خصوصا.. المسائل) سقط من ط.

(٩) ط: وأبين.

(١٠) أ: «وما أثبتوا».

(١١) ط: «وإفساد»

(١٢) أ، ط: «بالتصريح» و «فى أمره» سقط من ق، ط.

(١٣) ط: «واحتيالهم وفسادهم للإنجيل» وفى أ: «واحتيالهم وتركهم للإنجيل».

للإنجيل المنزل على عيسى (عليه السلام) وجحدهم فيه من صفات نبينا محمد ﷺ ثم نذكر حقيقة قربانهم[١٤] وسجودهم لصلبانهم - أبعدهم الله تعالى وأخزاهم - حتى ألهمنى الله تعالى إلى الرأى السديد، فى تأليف هذا المختصر السعيد.

وقد ابتدأت فيه بذكر بلدى، ونشأتى[١٥]، ثم رحلتى عن ذلك المقام، ودخولى فى دين الإسلام، والإيمان بسيدنا محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام).

ثم أتبعت ذلك بما غمرنى من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبى العباس[١٦] أحمد بن فارس، سلالة الأمراء الراشدين، وبعض ما اتفق لى فى أيامه، ثم فى أيام ولده مولانا أمير المؤمنين أبى فارس عبد العزيز[١٧]،

---

(١٤) القربان: هو أحد أسرار الكنيسة السبعة، ويسمى بالعشاء الربانى، أو مسألة الاستحالة لأن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزًا ويشربون خمرًا وتزعم الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد المسيح، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح فمن أكلهما فقد أدخل المسيح فى جسده بلحمه ودمه، وقد كانت تلك المسألة من العوامل التى أدت إلى ظهور فرقة الإصلاح الدينى التى تدعى «البروتستانت» أى المحتجين. (انظر: الأستاذ محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية ٢٠٢).

(١٥) ط، ق: «ومنشئى».

(١٦) هو أبو العباس أحمد بن المستنصر، كان شجاعًا، دينًا، عاقلًا، صفوحًا. عاهد الله أن لا يكافئ أحدًا عمل سوءًا إلا بخير. ومن حسناته إقامة القراءة للقرآن فى كل أسبوع بجامع الزيتونة وأوقف عليه أوقافًا. بويع فى تونس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الثانى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، وتوفى فى شعبان سنة ست وتسعين وسبعمائة، فكانت ولايته أربعًا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأياما رحمه الله. (راجع فى ترجمته: الحلل السندسية الجزء الأول (القسم الثانى) ص١٠٦٥-١٠٧١ وراجع أيضا: إتحاف أهل الزمان ١/٢٢٨-٢٣٠).

(١٧) هو أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد بن محمد ابن أبى بكر بن يحيى، بويع أثر موت أبيه (أبى العباس) فجمع الكلمة، وأصلح البلاد، وقمع=

ونذكر طرفًا من سيرته الحميدة، وآثاره الجميلة، ثم أتبعت ذلك بما تقدم ذكره من الرد على دين النصرانية وثبوت فضل الملة المحمدية، ولما حصل هذا المختصر الغريب[١٨]، على هذا الترتيب سميته (تحفة الأريب[١٩] في الرد على أهل الصليب) وجعلته ثلاثة فصول، ليسهل مطالعته على[٢٠] الناظر، ولا يمله الخاطر[٢١].

الفصل الأول:

فى ابتداء إسلامى، وخروجى من الملة النصرانية إلى الملة الحنيفية، وفيما غمرنى من إحسان مولانا أمير المؤمنين أبى العباس أحمد. وما اتفق[٢٢] لى فى أيامه.

=أهل الفساد، وكان شجاعًا، حازمًا، تقيًا، معتقدًا فى الصالحين، مقرًا للعلماء، كثير الصدقات فطنًا ذكيًا. وفى أيامه عظم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف.

ومن حسناته خزانة الكتب بجامع الزيتونة التى نوه المؤرخون بعدد أسفارها، ومنها صدقاته الجارية لأهل الحرمين الشريفين كل سنة، وله زوايا فى الطرق لمبيت أهل السبيل، ومنها قراءة صحيح البخارى كل يوم بين الظهرين بجامع الزيتونة، وقراءة الترغيب والترهيب بعد العصر. توفى يوم عيد الأضحى بعد أن تطهر وانتظر الصلاة سنة ٨٣٧هـ وكانت ولايته أربعين سنة وأربعة أشهر. (راجع : إتحاف أهل الزمان ١/٢٣٠ - ٢٣٣، وراجع أيضًا: الحلل السندسية الجزء الأول (القسم الثانى) ص ١٠٧١ - ١٠٧٧).

(١٨) سقط من ق.

(١٩) أ: «اللبيب».

(٢٠) ق: «للناظر».

(٢١) أ: «ولا يمل منه»

(٢٢) ب، ق: «بعض ما اتفق».

الفصل الثانى:

فيما اتفق لى فى أيام مولانا أمير المؤمنين أبى فارس عبد العزيز، ونذكر طرفًا من سيرته الحميدة، وآثاره الجليلة، وقت تصنيفى لهذا[٢٣] الكتاب، وهو عام ثلاث وعشرين وثمانمائة من الهجرة النبوية.

الفصل الثالث:

فى[٢٥] مقصود الكتاب من الرد على النصارى فى دينهم، وثبوت نبوة سيدنا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل، وسائر كتب الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين). وبتمامه يتم الغرض فى تصنيف هذا الكتاب بحول الله تعالى.

---

(٢٣) ب، ق: «هذا».

(٢٤) أ: «وسبع».

(٢٥) أ: «من».

الفصل الأول

اعلموا – رحمكم الله – أن أصلى من مدينة ميورقة[1]. أعادها الله تعالى للإسلام، وهى مدينة كبيرة على البحر بين جبلين، يشقها[2] واد صغير، وهى مدينة متجر، وفيها[3] مرسيان ترسى بهما[4] السفن الكبيرة بالمتاجر الجليلة.

والمدينة[5] تسمى باسم الجزيرة ميورقة[6]، وأكثر غلتها[7] زيتون وتين،

---

(١) ميورقة: مدينة ضخمة فى أسبانيا، يبلغ سكانها مائة وخمسين ألفا، معظمهم من القطلان، غزاها عبد الله بن موسى بن نصير سنة ٧٠٨م. بيد أن المسلمين لم يبسطوا سيادتهم على تلك الجزائر قبل منتصف القرن التاسع الميلادى حينما بعث عبدالرحمن بن الحكم أمير الأندلس، حملة بحرية إلى ميورقة فى سنة ٨٤٧ أخضعها، وفرضت عليها الجزية وفى سنة ٩٠٣ كان الفتح الحقيقى للجزائر على يد زعيم مجاهد يدعى عصام الخولانى، تصارع حملات النصارى المتعاقبة عليها من الجنويين والبيزين والقطلان، حتى سقطت نهائيًا فى أيدى النصارى بقيادة ملكهم خايمى الأول ملك أراجون الملقب بالفاتح، وذلك فى سنة ١٢٣٢م (٦٣٠هـ). (انظر: الآثار الأندلسية الباقية، لعبد الله عنان، وصفة جزيرة الأندلس ص ١٨٨ للحميرى).

(٢) ب: «يشقها واد كبير» وفى أ «وبجوارها واد صغير».

(٣) ط، ق: «ولها». (٤) أ: «فيها».

(٥) أ: «والمدينة فى جزيرة تسمى ميورقة».

(٦) ميورقة: جزيرة (٧٠٠كم² و ٤٢٤٧٨ نسمة) بأسبانيا فى غرب البحر المتوسط، ثانى جزر البليار من حيث المساحة: أهم مدنها «بورت ما هون» تنتج الحبوب، والفواكه، ولا سيما التين والبرتقال، ومن أعظم صادراتها زيت الزيتون حيث تغطى غابات الزيتون مساحات واسعة منها، عاصمة الجزائر كلها مدينة ميورقة التى منها المؤلف، وهى تقع فى غرب ميورقة على خليج يتخذ صورة القوس (انظر الموسوعة العربية الميسرة، والآثار الباقية لعنان، وصفة جزيرة الأندلس للحميرى ص ١٨٨)

(٧) ط، ب: «غاباتها».

ويحمل منها فى[٨] عام خصابة زيتونها أزيد من عشرين ألف بتية[٩] من الزيت لبلاد مصر والإسكندرية، وبجزيرة ميورقة المذكورة أزيد من مائة وعشرين حصنًا مسورة عامرة، وبها[١٠] عيون ماء كثيرة تشق جميع جهاتها، وتصب فى البحر.

وكان[١١] والدى محسوبا من أهل حاضرة ميورقة ولم يكن له ولد غيرى، ولما بلغت ست سنين من عمرى أرسلنى إلى معلم من القسيسين[١٢]، فقرأت[١٣] عليه الإنجيل حتى حفظت[١٤] أكثر من شطره[١٥] فى مدة سنتين، ثم أخذت فى تعلم لغة الإنجيل[١٦]، وعلم المنطق، مدة ست سنين، ثم ارتحلت من بلدى ميورقة إلى مدينة لاردة[١٧] من أرض

---

(٨) أ: «فى وقت أوانه أزيد».

(٩) بتية: هى برميل كبير (معجم تيمور الكبير ٢/١١١).

(١٠) أ:«وبها عين ماء كبيرة من الماء، تروى جميع جهاتها».

(١١) أ: «وكان والدى من أكابر ميورقة».

(١٢) القسيسين: جمع قس، بفتح القاف، رئيس من رؤساء النصارى فى الدين وهو الآن فى مرتبة بين الأسقف والشماس (المعجم الوسيط ٢/٧٣٤).

(١٣) ب: «قرأت». (١٤) أ:«حفظته فى مدة يسيرة»

(١٥) الشَّطر: نصف الشيء، ويستعمل فى الجزء منه (المعجم الوسيط ١/٤٨٢).

(١٦) أ: «الإنجيل والمنطق فى سنتين».

(١٧) لاردة: مدينة تقع غربى ثغر برشلونة، على قيد نحو مائة وخمسين كيلو مترًا منها، ولاردة مدينة كبيرة مستطيلة الرقعة، تمتد على الضفة اليمنى لنهر «سجرى» ويخترقها من الوسط «الشارع الكبير» وهو شارعها التجارى الذى يغص بالمتاجر والمقاهى، ومنه تتفرع الشوارع الجانبية سقطت لاردة فى يد كونت برشلونة رامون برنجار الرابع فى سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩م) وعبر واليها المسلم ابن هلال البحر ملتجئا إلى أمير ميورقة ويقول الحميرى فى وصفها: «مدينة لاردة خصيبة على الجدوب، ولها بساتين كثيرة، وفواكه غزيرة، وهى مخصوصة بكثرة الكتان وطيبه، ومنها يتجهز الكتان إلى جميع نواحى الثغور».

القطلان[١٨]، وهى مدينة العلم عند النصارى فى ذلك القطر. ولها واد كبير يشقها، ورأيت التبر مخلوطًا برملها[١٩]، إلا أنه صح عند جميع أهل ذلك القطر أن النفقة فى تحصيله لا تفى بقدر فائدته فلذلك ترك.

وبهذه المدينة فواكه كثيرة، ورأيت الفلاحين فيها[٢٠] يقسمون الخوخة على[٢١] أربعة أفلاق، ويضعونها[٢٢] فى الشمس، وكذلك القرع[٢٣] والجزر، فاذا أرادوا أكله[٢٤] فى الشتاء نقعوه[٢٥] فى الليل بالماء، وطبخوها كأنها طرية فى أوانها.

وبهذه المدينة يجتمع طلبة العلم من النصارى وينتهون إلى ألف رجل أو ألف وخمسمائة، ولا يحكم فيهم إلا القسيس الذى يقرءون عليه، وأكثر نبات[٢٦] أوطانها الزعفران[٢٧] فقرأت فيها الطبيات[٢٨] والنجامة مدة

---

(١٨) أرض القطلان: هى التى تعرف بقطالونيا (كتالونا بالأسبانية) (مساحتها ٣١٩٣٩كم^{٢}) وسكانها ٢٨٩٠٩٧٤ نسمة منطقة شرق أسبانيا، تمتد من جبال البرانس جنوبًا على طول البحر المتوسط، وعاصمتها التاريخية برشلونة أهم صناعاتها الزراعة، وإنتاج النبيذ، وزيت الزيتون (الموسوعة العربية الميسرة ١٣٨٧).

(١٩) أ، ب، ط: «برمله».

(٢٠) أ، ق: «بها».

(٢١) سقط من ق.

(٢٢) ط، ق: «ويعقرونها».

(٢٣) ب: «القرع والجوز» وفى أ: «القرع واللوز والجوز».

(٢٤) أ: «أكلها».

(٢٥) أ: «نقعوها».

(٢٦) أ: «محصولاتها».

(٢٧) الزعفران: نبات بصلى معمر من الفصيلة السوسنية، منه أنواع برية، ونوع صبغى طبى مشهور، وزعفران الحديد صدؤه (المعجم الوسيط ٣٩٤).

(٢٨) أ «الطبيعة والتنجيم».

ست سنين، ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازمًا ذلك مدة أربع سنين.

ثم ارتحلت إلى مدينة بانولية[٢٩] من أرض الأنبرية[٣٠]، وهى مدينة كبيرة جدا بنيانها بالآجر الأحمر الجيد، لعدم معدن[٣١] الحجر عندهم، ولكن لكل معلم من[٣٢] أهل صناعة الآجر طابع[٣٣] يختم به، وعليهم أمين مقدم يحتسب[٣٤] عليهم فى طيب طين الآجر وطبخه فإذا[٣٥] تفلح أو تفرك منه شىء غرم الصانع[٣٦] الثمن وعوقب بالضرب، وهذه مدينة علم عند جميع أهل ذلك القطر، ويجتمع بها[٣٧] كل عام من الآفاق أزيد من ألفى رجل يطلبون[٣٨] العلم، ولا يلبسون إلا الملف[٣٩] الذى هو صباغ الله.

(٢٩) أ: «بلونية» وفى ط: «نبونية» ق: «ينونية» ولعلها مدينة بنبلونة: التى تبعد ثلاثمائة وخمسين كيلو مترا من مدريد على الضفة اليمنى لأحد أفرع نهر أيبروا، وهى مدينة جميلة ذات شوارع فسيحة مستقيمة، وميادين شاسعة ويشتغل أهل بنبلونة بالزراعة والصناعة، ومن منتجاتها الأقمشة والصابون والورق والحديد وبنبلونة مركز ثقافى هام، وبها معهد دينى كبير ومدارس كثيرة، وهذه المدينة عاصمة ولاية نافار أو نبرة التى كانت من أشد الولايات الأسبانية مقاومة للمسلمين (الآثار الأندلسية الباقية ٣٠٧).

(٣٠) ط: «الأبزدية» وفى أ: «الأنبرونة».

(٣١) ط، ق: «معادن».

(٣٢) أ: فى.

(٣٣) ط: «طابع يخصه وعليهم».

(٣٤) أ: «فتحسب فى طيبته طين الآجر وطبخه».

(٣٥) أ: «ومهما تفلح أو تفرد».

(٣٦) ط: «الذى صنعه قيمته».

(٣٧) أ: «فيها».

(٣٨) أ: «يطلب»

(٣٩) الملف: كمقص، لحاف يلتف به (تاج العروس ٣٤٧/٦).

ولو[٤٠] يكون منهم طالب العلم سلطانًا أو ابن سلطان. فلا يلبس إلا ذلك، ليمتاز الطلبة من غيرهم، ولا يحكم فيهم إلا القسيس، الذى يقرءون عليه، فسكنت بها، وفيها كنيسة لقسيس كبير السن وعندهم كبير القدر، اسمه نقلاد مرتيل[٤١]، وكانت منزلته عندهم[٤٢] بالعلم والدين والزهد رفيعة جدًّا، انفرد بها فى زمنه عن جميع أهل دين النصرانية، فكانت الأسئلة خصوصًا[٤٣] فى دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم، وصحبة الأسئلة من الهدايا الضخمة ما هو الغاية فى بابه، ويرغبون فى التبرك به، وفى قبوله لهداياهم فيتشرفون[٤٤] بذلك، فقرأت[٤٥] على هذا القسيس علم أصول دين النصرانية وأحكامه، ولم أزل أتقرب إليه بخدمتى[٤٦]، والقيام بكثير من وظائفه حتى[٤٧] صيرنى أخص خواصه، وانتهيت فى خدمتى له وتقربى إليه إلى أن دفع[٤٨] لى مفاتيح مسكنه، وخزائن مأكله[٤٩]، وصار كل شىء بيدى، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير داخل مسكنه، كان يخلو فيه بنفسه، الظاهر[٥٠] أنه بيت خزانة أمواله التى تهدى إليه. والله أعلم.

---

(٤٠) أ: «ولو كان سلطانا».
(٤١) أ: «تقلا وسرتيل» وفى ق: «نقلاد سرنيل».
(٤٢) ب، ق، ط: «بينهم».
(٤٣) ط، ق: «مخصوصا».
(٤٤) ب: «ويتشرفون».
(٤٥) أ: «فحضرت».
(٤٦) أ: «وأخدمه إلى أن صيرنى».
(٤٧) أ: «إلى أن صرت من خواص خواصه».
(٤٨) أ: «سلمنى مفاتيح مسكنه».
(٤٩) أ: «ماله».
(٥٠) أ: «والظاهر».

فلازمته على ماذكرنا من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين، ثمّ أصابه مرض يومًا من الدهر فتخلف عن[٥١] مجلس قراءته، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله (تعالى) على لسان نبيه عيسى (عليه السلام) أنه يأتى من بعدى[٥٢] نبى اسمه البارقليط[٥٣]، فبحثوا فى تعيين هذا النبى، من هو من الأنبياء؟؟ وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم فى ذلك مقالهم، وكثر جدالهم، ثم انصرفوا عن غير تحصيل فائدة عن[٥٤] تلك المسألة.

فأتيت مسكن الشيخ صاحب الدرس المذكور، فقال لى ما الذى كان عندكم اليوم من البحث فى غيبتى عنكم؟ فأخبرته باختلاف القوم فى اسم البارقليط، وأن فلانًا قد أجاب بكذا، وأجاب فلان بكذا، وسردت له أجوبتهم، فقال لى: وبماذا[٥٥] أجبت أنت؟ فقلت بجواب القاضى فلان فى

(٥١) ط: «عن القراءة» وفى ب: «عن حضور مجلس القراءة».

(٥٢) ط، ق: «بعده».

(٥٣) البارقليط: هذه الكلمة باللغة اليونانية، وتفسيره بالعربية «أحمد» كما قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَمُبَشِّرًا برسولٍ يأتى منْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (سورة الصف ٦) وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء ص ٤٧٣ أنه سأل أحد المستشرقين الإيطاليين وهو الدكتور «كارلو نلينو» عن معنى كلمة: «بيريكلتوس» فقال المستشرق: إن القسس يقولون: إن هذه الكلمة معناها «المعزى» فقال له الأستاذ عبد الوهاب النجار: إنى أسأل الدكتور: «كارلو نلينو» الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيسا فقال له إن معناها (الذى له حمد كثير) فسأله الشيخ مرة ثانية، هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ فقال: نعم.

وهكذا يعترف النصارى أن الانجيل يوافق القرآن الكريم فى البشارة بسيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه.

(٥٤) ب، ق: «فى».

(٥٥) أ: وبم.

تفسيره للإنجيل، فقال لى: ما قصرت وقربت، وفلان أخطأ، وكاد فلان يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله[٥٦]، لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون فى العلم، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل، فبادرت إلى قدميه أقبلهما، وقلت له: ياسيدى، قد علمت أنى ارتحلت إليك من بلد بعيدة[٥٧]، ولى فى خدمتك عشر سنين، حصلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم، أن تكمل علىّ بمعرفة هذا الاسم الشريف، فبكى الشيخ، وقال لى: يا ولدى والله إنك لتعز علىّ كثيرًا من أجل خدمتك لى، وانقطاعك إلىّ، وأن فى معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكن أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى فى الحين، فقلت له يا سيدى، والله العظيم، وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشىء مما تسره إلى إلا عن أمرك[٥٨].

فقال لى يا ولدى إنى سألتك فى أول قدومك إلى عن بلدك، وهل[٥٩] هو قريب من المسلمين، وهل يغزونكم أو تغزونهم[٦٠]؟ لأستخبر[٦١] به ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم يا ولدى أن «البارقليط» هو اسم من أسماء نبيهم محمد (ﷺ)، وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال[٦٢] (عليه السلام) وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه

---

(٥٦) أ: ذلك.

(٥٧) ب، ق: بعيد.

(٥٨) أ: «لى إلا بإذنك».

(٥٩) أ: «وهل هى قريبة».

(٦٠) أ: «وتغزونهم»

(٦١) ب، ط: «لأختبر».

(٦٢) دانيال: اسم عبرى معناه «الله قضى» نبى من أنبياء بنى إسرائيل، من سبط يهوذا، ومن عائلة داود الملكية، أخذ إلى بابل بأمر نبوخذ نصر (سنة ٦٠٥ ق. م) فتعلم هناك لغة الكلدانيين، ورشح للخدمة فى القصر الملكى، وقد فسر حلمًا لنبوخذ نصر،=

دين الحق، وملته هى الملة البيضاء المذكورة فى الإنجيل.

قلت[٦٣] له يا سيدى: وما تقول فى دين النصارى؟ فقال لى يا ولدى: لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله (تعالى).

فقلت له: وكيف الخلاص من هذا الأمر؟ فقال يا ولدى بالدخول فى دين الإسلام. فقلت له: وهل[٦٤] ينجو الداخل فيه؟ فقال[٦٥]: نعم، ينجو فى الدنيا والآخرة. فقلت له يا سيدى: إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك عنه[٦٦]؟ فقال لى يا ولدى: إن الله تعالى لم يطلعنى على حقيقة ما أخبرتك به من فضل دين الإسلام، وشرف نبى الإسلام، إلا بعد كبر سنى، ووهن جسمى[٦٧]، ولا عذر لنا فيه، بل حجة الله علينا قائمة، ولو هدانى الله لذلك وأنا فى سنك لتركت كل شيء، ودخلت فى دين الحق.

وحب الدنيا رأس كل خطيئة[٦٨]، فأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى

=كان قد أزعجه فنصبه حاكمًا على بابل ورئيسًا على جميع حكامها، ولدانيال سفر فى العهد القديم ينسب إليه، ويأتى فى الترتيب بعد سفر حزقيال. (راجع: قاموس الكتاب المقدس ٣٥٧، ومفاتيح كنوز الأسفار ١/٢٦٠).

(٦٣) ط: «فقلت».

(٦٤) ط: «هل».

(٦٥) ط: «قال».

(٦٦) أ، ق: «منه».

(٦٧) أ: «عظمى».

(٦٨) «حب الدنيا رأس كل خطيئة» رواه البيهقى فى الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصرى رفعه مرسلا، ورواه البيهقى أيضًا فى الزهد وأبو نعيم من قول عيسى بن مريم، ولأحمد فى الزهد عن سفيان، قال كان عيسى بن مريم يقول: حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيه داء كثير، قالوا وما داؤه؟ قال لا يسلم صاحبه=

من رفعة الجاه، والعز، والشرف وكثرة عرض الدنيا، ولو أنى ظهر على شىء من الميل إلى دين الإسلام، لقتلتنى العامة فى أسرع وقت.

وهب أنى نجوت منهم وخلصت[٦٩] إلى المسلمين، وأقول[٧٠] لهم: إنى جئتكم مسلمًا، فيقولون لى قد نفعت نفسك بالدخول فى دين الحق، فلا تمن علينا بدخولك فى دين خلصت به نفسك من عذاب الله، فأبقى بينهم شيخًا كبيرًا[٧١]، فقيرًا ابن تسعين سنة، لا أفقه لسانهم، ولا يعرفون حقى، فأموت بينهم بالجوع، وأنا الحمد[٧٢] لله على دين عيسى، وعلى[٧٣] ما جاء به يعلم الله ذلك منى، فقلت له يا سيدى: أفتدلنى أن أمشى إلى بلاد المسلمين، وأدخل فى دينهم؟ فقال لى إن كنت عاقلاً، طالبًا للنجاة فبادر إلى ذلك، تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدى هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن، فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شىء منه تقتلك العامة لحينك، ولا أقدر على نفعك، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عنى، فإنى أجحده، وقولى مصدق عليك، وقولك غير مصدق علىَّ، وأنا برىء من دمك إن فهت بشىء من هذا، فقلت له يا سيدى أعوذ بالله من سريان الوهم لهذا. وعاهدته بما أرضاه، ثم أخذت فى[٧٤] أسباب الرحلة، وودعته فدعا[٧٥] لى بخير، وزودنى بخمسين دينارًا ذهبًا، وركبت البحر منصرفًا إلى بلادى مدينة

=من الفخر والخيلاء، قالوا فإن سلم؟ قال شغله إصلاحه عن ذكر الله تعالى. (انظر: كشف الخفاء ١/ ٤١٢ - ٤١٣).

(٦٩) ب، ق: «وحصلت».

(٧٠) ط، ق: «فأقول».

(٧١) ب، ط: «كبيرًا».

(٧٢) أ: «والحمد».

(٧٣) أ: «وما جاء به».

(٧٤) ط: «من».

(٧٥) أ: «ودعا».

ميورقة، فأقمت بها ستة أشهر، ثم سافرت منها إلى جزيرة صقلية[٧٦]، فأقمت[٧٧] بها خمسة أشهر، وأنا أنتظر مركبًا يتوجه لأرض المسلمين، فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس فسافرت فيه من صقلية، وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق، فوردنا مرسى تونس قرب الزوال[٧٨]، فلما نزلت بديوان تونس، وسمع بي الذين بها من أحبار[٧٩] النصارى أتوا بمركب[٨٠] وحملوني معهم إلى ديارهم وصحبتهم بعض التجار الساكنين أيضًا بتونس، فأقمت في ضيافتهم على[٨١] أرغد عيش أربعة أشهر، وبعد ذلك سألت[٨٢] هل بدار السلطنة أحد يحفظ لسان[٨٣] النصارى؟ وكان السلطان إذ ذاك مولانا أبا العباس[٨٤] أحمد (رحمه الله) فذكروا لي أن بدار السلطان المذكور رجلًا فاضلًا من كبراء[٨٥] خدامه اسمه يوسف الطبيب، وكان طبيبه ومن خواصه، ففرحت بذلك فرحًا شديدًا، وسألت عن مسكن هذا

---

(٧٦) صقلية: أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط الغربي، ومن ثم كانت أهميتها عبر التاريخ، تبلغ مساحتها ٩٩٢٣م^{2} وعدد سكانها (إحصاء ١٩٦١) ٤,٧ م، يفصلها عن شبه الجزيرة الإيطالية مضيق مسينا، و تبعد عن أقرب نقطة من الساحل الأفريقي (تونس) بنحو ٩٠٠ ميل، وتتميز جغرافيتها بسلاسل الجبال البركانية، وأنهارها القصيرة السريعة الجريان، التي يجف أكثرها صيفًا، وسواحلها كثيرة التعاريج. (انظر: أحمد عطية الله القاموس الإسلامي ٣٠٠/٤، ومعجم البلدان ٤١٦/٣ دار صادر).

(٧٧) ط: «وأقمت».

(٧٨) ط: «قرب الزوال بحكم الله تعالى فلما...»

(٧٩) ط، ق: «أجناد».

(٨٠) ط: «بمركوب».

(٨١) أ: «في».

(٨٢) أ، ب، ط: «سألتهم».

(٨٣) يقصد بلسان النصارى اللغة الأسبانية.

(٨٤) راجع ترجمته ص٤٩.

(٨٥) ق: «المسلمين».

الرجل الطبيب، فدللت عليه، واجتمعت به، وذكرت له شرح حالى وسبب قدومى للدخول[٨٦] فى دين الإسلام، فسر الرجل بذلك سرورًا عظيمًا بأن يكون[٨٧] هذا الخبر على يديه.

ثم ركبت فرسه، واحتملنى معه لدار السلطان، ودخل عليه فأخبره بحديثى، واستأذنه على فأذن لى، فمثلت[٨٨] بين يديه، فأول ما سألنى السلطان عن عمرى، فقلت له خمسة وثلاثون عامًا، ثم سألنى كذلك عما قرأت من العلوم، فأخبرته، فقال لى قدمت خير قدوم، فأسلم على بركة الله تعالى، فقلت للترجمان وهو الطبيب المذكور، قل لمولانا السلطان: إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه، والطعن عليه، فأرغب من إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم[٨٩] وتسألوهم[٩٠] عنى، وتسمع ما يقولون فى غيابى[٩١]، وحينئذ أسلم (إن شاء الله).

فقال لى بواسطة الترجمان أنت طلبت كما طلب عبدالله بن سلام[٩٢] من النبى ﷺ حين أسلم.

---

(٨٦) ب، ق: «والدخول».

(٨٧) ب، ق: «يكون تمام هذا».

(٨٨) ط: «فتمثلت».

(٨٩) ط، ق «وأجنادهم» والأحبار: جمع حبر (بكسر الحاء وفتحها) العالم (المصباح١١٧).

(٩٠) ط: «وتسألونهم».

(٩١) ط، ق: «جنابى».

(٩٢) عبد الله بن سلام: يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب (صلى الله عليهما) كان حليفًا للأنصار وكان اسمه فى الجاهلية «الحصن» فلما أسلم سماه رسول ﷺ عبدالله، توفى بالمدينة فى خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين وهو أحد الأحبار، أسلم إذ قدم النبى ﷺ المدينة. (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٣/٩٢١).

ثم أرسل إلى أحبار[٩٣] النصارى وبعض تجارهم، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه، فلما دخل النصارى عليه، قال لهم: ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذى قدم في هذا المركب؟ قالوا: يا مولانا، هذا[٩٤] عالم كبير في ديننا، وقال مشايخنا[٩٥]: ما رأينا أعلى منه درجة في العلم والدين في ديننا، فقال لهم: وما تقولون فيه إذا أسلم؟؟ فقالوا: نعوذ بالله من ذلك، هو ما يفعل ذلك[٩٦] أبدا..

فلما سمع ما عند النصارى بعث إلى فحضرت بين يديه وتشهدت بشهادة الحق بمحضر النصارى فكبوا[٩٧] على وجوههم، وقالوا ما حمله على هذا[٩٨] إلا حب التزويج، فإن القسيس عندنا لا يتزوج، فخرجوا مكروبين محزونين، فرتب لى السلطان - رحمه الله - كل يوم ربع دينار، وأسكنني في دار المختص، وزوجني بنت الحاج محمد الصفار.

فلما عزمت على البناء[٩٩] بها أعطاني مائة دينار ذهبًا وكسوة جديدة كاملة، فابتنيت بها، ووُلد لى منها ولد سميته محمدًا على وجه التبرك باسم نبينا محمد ﷺ.

---

(٩٣) ط، ق: «أجناد» وفي أ: «خيار».

(٩٤) ط: «هو».

(٩٥) ط: «شيوخنا ما رأوا».

(٩٦) أ، ط، ق: «هذا».

(٩٧) ط: «فصلّبوا».

(٩٨) ق: «ذلك».

(٩٩) بنى بزوجته وعليها: دخل بها.

الفصل الثانى

فيما اتفق لى فى أيام مولانا أبى العباس أحمد وولده أبى فارس عبد العزيز

وبعد خمسة أشهر من إسلامى، قدمنى السلطان لقيادة البحر بالديوان، وكان قصده بذلك أن أحفظ اللسان[١] العربى فيـه[٢] لكثرة مـا يتكرر على[٣] من ترجمة التراجمة بين النصارى والمسلمين.

فحفظت جميع اللسان العربى، فى مدة عام، وحضرت لعمارة الجنويين[٤] والفرنسيين[٥] على مدينة مهديـة، وكنت أترجم للسلطان مـا يرد من[٦] كتبهم، ثم كبتهم[٧] الله تعالى، وتفرقوا خائبين.

---

(١) يقصد باللسان: اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَا أرسلنا مِن رسُولٍ إلاَّ بِلِسَان قومِهِ لِيُبيّن لَهُمْ﴾ (إبراهيم آية٤) أى بلغتهم.

(٢) أ: «منه».

(٣) ب: «على فيه من».

(٤) ط: «الجنويز» ق: «الجويين» والجنويين: نسبة إلى مدينة فى جنوب إيطاليا تسمى جنوة، وهى ميناء يقع على الخليج المسمى باسمها، وتعتبر الميناء الملاحى الأول بالنسبة لشمال إيطاليا، نظرًا لقربها من مراكز التجارة والصناعة الكبرى، لا سيما ميلان وتورين، عدد سكانها ٨٠٧ ألف نسمة (يناير ١٩٧٥) فمن ثم كانت المدينة الخامسة من حيث الكثافة (القاموس السياسى ٥٠٤).

(٥) ط: «والفرانسيس» وفى ق: «والأفريقيين».

(٦) ب: «فى».

(٧) كبتهم الله: أى ردهم بغيظهم.

وارتحلت مع السلطان إلى حصار قابس[٨]، وكنت على خزائنه على حصار قفصة[٩]، وفيه ابتدأ مرضه الذى مات فيه ثالث عشر شعبان عام ستة وتسعين وسبعمائة، ثم تولى الخلافة بعده ولده مولانا أمير المؤمنين، وناصر الدين: أبوفارس عبدالعزيز، فجدد لى جميع أوامر والده بمرتباتى ومنافعى كلها، ثم زادنى ولاية دار المختص.

واتفق لى فى أيامه بالديوان، وأنا قائد البحر والترجمة، أن مركبا قدم موسوقا بسلاع[١٠] المسلمين، فلما أرسى بالمرسى، دخل عليه مركبان من صقلية، فأخذاه لحينه بعد أن هرب المسلمون منه برقابهم، واستولى النصارى على أموالهم.

فأمر مولانا أبو فارس صاحب ولاية الديوان وشهوده أن يخرجوا[١١] إلى حلق الوادى، ويتحدثوا مع النصارى فى فداء أموال المسلمين فوصلوا[١٢] وطلبوا الأمان للترجمان الذى كان معهم فأمنوه، فصعد إليهم لمراكبهم، وتحدث معهم فى الفداء فتغالوا[١٣] فى ذلك ولم يحصل منه شىء.
وكان قد ورد مع[١٤] هذا المركب قسيس كبير القدر فى صقلية، وكانت بينى

---

(٨) قابس: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل بحر المغرب، من أعمال أفريقية وبها مرفأ السفن من كل مكان، بينها وبين البحر ثلاثة أميال (مراصد الاطلاع ١٠٥٤).

(٩) قفصة: مدينة اسمها القديم (كبسه) تقع بجنوب وسط تونس، فى واحة خصيبة، وكان لها شأن فى عصر الرومان، تصدر الفوسفات والتمر والزيتون. (الموسوعة العربية الميسرة ١٣٩٠).

(١٠) سلاع: جمع سلعة، وهى كل ما يتجر به من البضاعة، كما تطلق السلعة على المتاع (المعجم الوسيط ٤٤٣).

(١١) ب: «يخرجوا لخلف الوادى».

(١٢) ط: «الوزن».

(١٣) فغالوا.

(١٤) أ، ق: «فى».

وبينه صداقة كبيرة كأننا[١٥] إخوة إذ كنا نطلب العلم جميعًا وسمع بإسلامى فصعب عليه ذلك، فقدم فى هذا المركب ليستدعينى للرجوع إلى دين النصارى، ويأخذنى بالصداقة التى كانت بيننا[١٦]، فلما اجتمع بالترجمان الذى صعد إليهم للمركب، قال له: ما اسمك؟ قال على، فقال يا على: خذ هذا الكتاب، وبلّغه للقائد عبدالله قائد البحر عندكم بالديوان، وهذا دينار، وإذا[١٧] رددت لى[١٨] جوابه[١٩] أعطيتك دينارًا آخر، فقبض منه الكتاب والدينار، وجاء لحلق الوادى، فأخبر صاحب الديوان بكل ما قالوه[٢٠] له، ثم أخبره بمقال القسيس وبالكتاب الذى أعطاه إياه، وبالدينار الذى استأجره به، فأخذ صاحب الديوان الكتاب وترجمه له بعض تجار الجنويين فبعث بالأصل[٢١] والنسخة لمولانا أبى فارس فقرأه، ثم بعث إلىّ فحضرت[٢٢] بين يديه فقال لى يا عبدالله هذا الكتاب وصل من البحر فاقرأه وأخبرنا بما فيه، فقرأته وضحكت فقال لى: ما أضحكك؟ فقلت له[٢٣]: نصركم الله، هذا كتاب مبعوث إلىّ من قسيس كان من أصدقائى فى الأول[٢٤]، وأنا أترجمه لكم الآن، فجلست فى ناحية وترجمته بالعربية، ثم ناولته الترجمة فقرأها ثم قال لأخيه المولى إسماعيل:

---

(١٥) ط، ق: «كأنها».
(١٦) ب: «بينى وبينه».
(١٧) ط، ق: «فإذا».
(١٨) ب: «إلى».
(١٩) ق: «نعطيك».
(٢٠) ب: «ما قالوا».
(٢١) ب: «الأصل»
(٢٢) ب، ق: «فوصلت».
(٢٣) «له» سقط من أ، ق.
(٢٤) «فى الأول» سقط أ.

والله ما ترك منه حرفًا[٢٥]..!!

فقلت يا مولاى: وبأى شىء عرفت ذلك؟؟ قال بنسخة أخرى ترجمها لنا الجنويون[٢٦] قبلك، ثم قال لى[٢٧]: يا عبد الله، وماذا[٢٨] عندك أنت فى جواب هذا القسيس؟ فقلت يا مولاى: الذى عندى ما علمته منى من كونى أسلمت باختيارى رغبة فى دين الحق، ولست أجيبه إلى شىء[٢٩] مما أشار[٣٠] إلىّ قطعًا.

فقال لى: قد علمنا صحة إسلامك، ولكن «الحرب خدعة»[٣١] فاكتب إليه[٣٢] فى جوابك أن يأمر صاحب المركب أن يفدى[٣٣] سلع المسلمين، ويرخص عليهم، وقل له: إذا اتفقتم مع المسلمين على سعر[٣٤] معلوم، فإنى أخرج مع الوزان بقصد وزن السلع ثم أهرب إليكم بالليل.

---

(٢٥) ط: «شيئا».
(٢٦) نسبة إلى مدينة فى إيطاليا تسمى جنوة.
(٢٧) «لى» سقط ب.
(٢٨) ق: «وما».
(٢٩) ب: «بشىء».
(٣٠) ط: «أشاره».
(٣١) الحرب خدعة: حديث متفق عليه، قال بعض اللغويين: معنى خدع، أظهر أمرًا أبطن خلافه ومنه كان النبى ﷺ إذا غزا غزوة ورّى بغيرها، وخدعه مثلث الخاء، والفتح أشهر، والدال ساكنة فيهن، ويجوز مع الضم فتح الدال، ونقل ابن الغرس عن الزركشى والسيوطى أنها بتثليث الخاء مع فتح الدال، قال وأفصحها فتح الخاء مع سكون الدال، وإنها لغة النبى ﷺ. (راجع كشف الخفاء ١/٤٢٥).
(٣٢) أ: «له».
(٣٣) ط، ق: «يفادى» والمراد بقوله: يفدى، أى يقبل منهم الفدية (المعجم الوسيط ٦٧٧).
(٣٤) ق: «شىء».

ففعلت ما آمرني به، وأجبت القسيس بهذا الجواب ففرح وأرخص على المسلمين فى فداء متاجرهم، وخرج الوزان مرارًا، ولم أخرج معه، فأيس منى ذلك القسيس فأقلع مركبه وانصرف.

وكان نص كتابه[٣٥] : (أما بعد السلام من أخيك فريسيس[٣٦] القسيس، نعرفك أنى وصلت إلى هذا البلد برسمك[٣٧]، لأحملك معى إلى صقلية[٣٨]، وأنا اليوم عند صاحب صقلية بمنزلة أن أعزل وأولّى، وأعطى وأمنع، وأمر جميع مملكته بيدى، فاسمع منى وأقبل على بركة الله تعالى، ولا تخف ضياع مال ولاجاه ولا غير[٣٩] ذلك، فإن عندى من المال والجاه ما يغمر[٤٠] الجميع، وأعمل لك كل ما تريد، ولا تتحيل[٤١] بشىء من أمور الدنيا، فإنها فانية والعمر قصير، والقبر بالمرصاد. فخف الله تعالى، واخرج من ظلمة الإسلام إلى نور النصرانية، واعلم أن الله ثالث ثلاثة فى ملكه، ولا سبيل إلى أن تفرد ما جمعه الله لنفسه، وأنا أعلم أنك تعلم من هذا كله مالا أعلم، ولكن ذكرتك، لأن الذكرى تنفع المؤمنين، وانتبه من نوم الغفلة، واجعل جوابى كتابى هذا ورودك علىّ، ومثلك لا يحتاج إلى معلم، والسلام).

---

(٣٥) ب: «كتابه إلىّ».

(٣٦) أ: «فرايصى» ب، ق: «أفرنصيص».

(٣٧) برسمك: لعله يقصد من أجلك.

(٣٨) «إلى صقلية» من ب.

(٣٩) ب: «وغير ذلك».

(٤٠) أ: «يعم».

(٤١) «ولا تتحيل بشىء.. والسلام» زيادة من أ، ب.

ذكر[1] سيرة مولانا أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز رحمه الله

قد أقام سنة[2] العدل فى جميع رعاياه[3]، وساسهم بالكتاب والسنة، ومن مناقبه إكرام العلماء وأهل الصلاح وتعظيم قدومهم عليه، والإكرام لأهل بيت الرسول ﷺ، وبذل جميع العطاء لهم، حتى إنهم[4] قدموا إليه[5] من مشارق الأرض ومغاربها، وكل من أقام ببلاده منهم[6] مشى له المرتبات والعوائد والكسوات[7]، ومن ارتحل لأرضه[8] أجزل صلته وأكرم وفادته.

وقد جعل لهم ستين دينارا فى كل عام تدفع لزوارهم[9] ليلة المولد المعظم الشريف، لينفقوها فى الوليمة لفرح ذلك المولد الكريم، وجعلها من أعشار الديوان[10] تحريًا للحلال، سوى ما يصحبها من الطيب، وماء الورد والبخور.

---

(١) ب: «ذكر بعض سيرة».

(٢) السنة: الطريقة (المصباح المنير ٢٩٢).

(٣) ط: «الرعايا».

(٤) ط: «قد».

(٥) ب، ق: «عليه».

(٦) «منهم» من ب.

(٧) ب: «والكسوة».

(٨) ب، ق: «إلى أرضه».

(٩) ط: «لمزوارهم» ق: «لزيارتهم».

(١٠) الديوان: كلمة فارسية معربة بمعنى الدفتر أو السجل، ومن ثم أطلق لفظ الديوان مجازًا على المكان الذى يحفظ فيه، وقيل الديوان كلمة عربية، أصلها «دوان» بتشديد الواو فأبدلت إحدى الواوين ياء، من قولهم دون تدوينا (أى أثبت) وديوانًا، =

وأما إنصافه للمظلوم من ظالمه كائنًا من كان البتَّة فقد اشتهر عنه، حتى صار قواده وخواصه يسلكون طريقته، ويجتنبون الحيف والأذى، ولا يتركون أحدًا يشكوهم إليه.

وقد جعل قوته وقوت عياله، وملابسهم، وسائر ضرورياتهم - من خوف الله تعالى(١١)- من(١٢) أعشار النصارى، وجزية اليهود تحريًا للحلال في ذلك.

ولا يزال يتعاهد أهل السجون(١٣) في غالب أحيانه فيسرّح من يستحق السراح(١٤)، وينجز(١٥) أحكام أهل(١٦) الجنايات منهم.

وأما كثرة صدقاته فأمر منتشر، ورتب لتوزيعها زمامًا(١٧) تحتوى على

=والجمع دواوين، والديوان اصطلاحا البلاط السلطاني وفروعه أو الوحدات الإدارية الرئيسية في الحكومة، ويعتبر عمر الخليفة الثاني أول من دوّن الدواوين في الإسلام بمعنى أنه أقام لكل شأن من شئون الدولة الرئيسية جهازًا يضطلع به، فكان أقدم هذه الدواوين ديوان الخراج «وزارة الخزانة» وديوان الجند «وزارة الحربية» وقد أخذ نظام الديوان عن الفرس، وفي عصر بني أمية تعددت الدواوين، وفي عهد عبد الملك بن مروان عربت الدواوين فاستخدمت اللغة العربية بدلا من اليونانية والفارسية والقبطية (القاموس الإسلامي ٢/٤٢٨).

(١١) «من خوف الله تعالى» سقط أ.

(١٢) ا، ب: «على».

(١٣) ط: «السجن».

(١٤) السراح: الترك، وقد يستعمل في الطلاق مجازًا، ومنه قوله تعالى ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ قال المفسرون المراد به الطلاق.

(١٥) يقال: أنجزته، إذا عجلته، واستنجز حاجته طلب قضاءها (المصباح المنير ٥٩٤).

(١٦) «أهل» سقط أ.

(١٧) ب: «زمانا»، أ: «زمامل» والمثبت من ط، ق. ولعله يرد سجلات دونت فيها أسماء المستحقين.

من يستحقها من البنين[١٨]، وذوى الأحساب والمروءات، وأسندها إلى الفقيه العدل المدرس أبي عبد الله محمد بن سلام الطبرى[١٩]، فيوصل إلى كل ذى حق منا[٢٠] حقه من المال العين[٢١] والطعام، والزيت، وماشية البقر والغنم من الزكاة، هكذا يفعل فى جميع أعماله.

ومن لطيف مآثره ما يوجه[٢٢] فى كل عام صحبة ركبان الحجاج لبيت الله الحرام، وجيران قبر النبى ﷺ فيفرق بمكة والمدينة من الأموال ما يوسع به على القاطنين[٢٣]، والمجاورين هناك، أثابه الله تعالى.

ويوجه مع ذلك من المال والكسوة لمشايخ[٢٤] عرب برقة[٢٥] عوائد يمنعهم بها من اعتراض الحجاج[٢٦]، ويرغبهم فى تسهيل ذلك الطريق.

ومن مناقبه ما مشى لأهل جزيرة الأندلس من الأوقاف[٢٧] الدائمة، فعيّن لهم ألفى قفيز[٢٨] من القمح فى كل عام (من عشر وطن[٢٩] شتاتة[٣٠]) سوى ما يصحب ذلك من إدام، ومال عين، وخيل عتاق، وعدة

---

(١٨) ط: «البيتات»، ق: «البينات».

(١٩) لم أعثر له على ترجمة.

(٢٠) ب: «فيها».

(٢١) أ: «المعين».

(٢٢) ب، ط، ق: «ما يوجبه».

(٢٣) قطن بالمكان: أى أقام به (المصباح المنير ٥٩).

(٢٤) أ، ب، ق: «لمشايخ العرب المعروفة ببرقة من العصاة عوائد يمنعهم».

(٢٥) برقة: لقب حمله أفراد أسرة قرطاجية (الموسوعة العربية الميسرة ٣٤٩).

(٢٦) ب: «الحجيج».

(٢٧) أ، ط: «الأرفاق».

(٢٨) القفيز: مكيال كان يكال به قديما، ويختلف مقداره فى البلاد، ويعادل بالتقدير المصرى الحديث نحو ستة عشر كيلو جراما. (المعجم الوسيط ٧٥١).

(٢٩) ب: «عسر و طن». (٣٠) ق: «وتسنانه».

من السلاح الجيد، ومالا يوجد عندهم من البارود النفيس.

ومن ذلك اعتناؤه بفداء أسارى المسلمين من أيدى النصارى وقد أدرك من ذلك غاية لم يسبق إليها فى ذلك القطر، لأنه أوقف لذلك أوقافًا كثيرة معتبرة، وقدم على النظر فيها أمين الأمناء أبا عبد الله محمد بن عزوز(٣١). وأمره بخدمتها وحفظ مجابيها، وكل ما يتحصل من المجابى(٣٢) يشترى به ريعا(٣٣) برانيا ودخلانيا، بحاضرة تونس أعده أمير المؤمنين لفداء الأسارى بعد وفاته.

وقد التزم فداء جميع من يرد لمرسى تونس من الأسارى من بيت المال مدة حياته. وحضرته مرارا يوصى تجار النصارى من جميع أجناسهم أن يأتوه بكل من يقدرون عليه من أسارى المسلمين، وعين لهم فى كل شاب منهم ستين دينارًا إلى سبعين، وفى كل شيخ وكهل(٣٤) من الأربعين إلى الخمسين.

وأنا الذى كنت أترجم بينه وبين النصارى فى ذلك، فما كانت إلا مدة يسيرة حتى جاء تجارهم بعدد كثير من الأسارى، ففدى جميعهم من بيت المال، ومازال يفعل ذلك إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب، أجزل الله له الثواب.

ومن عظيم مآثره بناؤه للزاوية التى بخارج باب البحر من تونس، وقد كانت فندقًا تستباح فيه كبائر معاصى الله جهارًا من غير مغير ولا مُنْكِر، لأن بعض النصارى التزمه باثنى عشر ألف دينار ذهبا، فى كل عام، ليبيع

---

(٣١) ق: «غروز».

(٣٢) ق: «المجبا».

(٣٣) ا: «ربعا».

(٣٤) الكهل: «من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين». (المعجم الوسيط ٨٠٣).

فيـه الخمر وغيـره من المسكرات، ويجتمـع عنده من عـظائم المنكرات مـا يحـزن قلوب المخلصـين. فتـرك مـولانـا أبـو فـارس تلك المجـابى السحتية[٣٥] الفاسـدة لوجـه الله تعالى، ولم يقنـع بإبـطال تلك المعاصى وتغييرها حتى هدم الفندق المذكور، وبنى عوضه زاوية عظيمة البناء والنفع، صارت متعبدًا لإقامة الصلاة، والذكر، والعبادات، وإطعـام الطعـام على الدوام، لأنه أوقف عليها أوقافا جمة مفيدة[٣٦] من محترث وفدادين زيتون، ومعصرة بإزائها، وغير ذلك أثابه الله تعالى.

وكذلك بنى الـزاوية التى قـرب بستان بـاردوا، والزاويـة التى قرب الداموس، وجبل الخاوى[٣٧] قبلى تونس، وأوقف[٣٨] عليها ما يكفيها.

وكذلك السقاية التى خارج باب الجديد[٣٩]، والماجل[٤٠] الكبير، الذى تحت مصلى العيد.

وبناؤه للمحارس التى بـإزاء دار أبى الجعد، والحمـامات، والـرفارف والشراف، والقمريات.

ومن عظيم مآثره خزانة الكتب التى جعلها بجوف جامع الزيتونة من تونس، وجمع فيها دواوين مفيدة فى علوم شتى، وأوقفها مؤبدًا لطلاب العلم، وأوقف عليها من فدادين الزيتون وغيرها ما هو فوق الكفاية للمناول[٤١]

---

(٣٥) السحت: هو كل مال حرام لا يحل كسبه ولا أكله. (المصباح المنير٢٦٧).

(٣٦) س: «من فدادين زيتون وغير ذلك».

(٣٧) س: «الجلود».

(٣٨) ق: «ووقف».

(٣٩) ق: «الحديد»

(٤٠) س: «والمجاز»

(٤١) ق: «للمنازل».

لها، والشهود، وحافظ[٤٢] الباب.

ومن عظيم مآثره، تأسيس «المارستان»[٤٣] بتونس، ولم يسبقه أحد فى أفريقية من المتقدمين والمتأخرين لمثل ذلك، وهو لمن يمرض من غرباء أهل الإسلام، وأوقف عليه ما يكفيه، وذلك فى عام تأليف هذا الكتاب وهو عام ثلاثة وعشرين وثمانمائة.

ومن عظيم مآثره، أموال عظيمة تركها لوجه الله تعالى من المجابى الخارجة عن قانون الشريعة المحمدية، وهى مجابى كانت موظفة بجميع أسواق تونس، لا يباع فيها شىء دق أو جل، إلا ويؤدى بائعه لجانب السلطان شيئًا معلومًا من درهم إلى دينار أو أكثر من دينار فيما له بال، وكانت ماضية[٤٤] مستمرة منذ أحقاب طويلة حتى ألهم الله هذا السلطان المبارك لقطعها وتركها، فانقطع ضررها عن الناس.

وترك مجبى سوق الرهادنة[٤٥]، وقدره ثلاثة آلاف دينار ذهبًا، ومجبى رحبة الطعام وقدره خمسة آلاف دينار، ومجبى رحبة الماشية، وقدره عشرة آلاف دينار. ومجبى فندق الزيت وقدره خمسة آلاف دينار ومجبى فندق الخضرة، وقدره ثلاثة آلاف دينار، ومجبى سوق العطارين وقدره مائة

---

(٤٢) ق: «والحافظ بالباب».

(٤٣) المارستان: قال الجوهرى فى الصحاح: المارستان - بفتح الراء - دار المرضى، وهو معرب.. انتهى وفى سنة ثمان وثمانين أمر الوليد بن عبد الملك بعمل المارستان لعلاج المرضى، وهو أول من فعل ذلك، وجعل فيها الأطباء، وأجرى فيها الانفاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم الإنفاق وعلى العميان. (تخريج الدلالات السمعية ٦٧٣).

(٤٤) فى أكثر النسخ: «موصلة».

(٤٥) فى الحلل السندسية: «سوق الرهادنة».

وخمسون دينارًا. ومجبى فندق الفحم[٤٦]، وقدره ألف دينار. ومجبى العمود، وقدره ألف دينار، وليس هذا من فوائد الأسواق، وإنما هو مال ضربه بعض الملوك المتقدمين على من بوادى بحيرة[٤٧] وغيرهم، وهم أهل خيام وعمود. وكان ذلك عليهم أحقابًا طويلة حتى أبطله ذلك الملك أبو فارس، وقدره ألف دينار. وبعض مجبى دار قائد الشغل، وقدره ثلاثة آلاف دينار. ومجبى سوق القشاشين، وقدره مائة دينار[٤٨]. ومجبى سوق الصفارين وقدره مائة دينار. ومجبى سوق العرافين وقدره خمسون دينارًا. وأباح عمل الصابون، بعد أن كان ممنوعًا منه، ومن ظهر ذلك عليه يعاقب فى ماله وبدنه، ولا يعمله إلا السلطان بموضع معلوم لا يباع إلا فيه.

ومن أعظم درجات حسناته فى هذا الباب ترك خراج المناكير—وكان كثيرًا—فمنه الشرطة لحاكم المدينة، وكان بعض المكاسين[٤٩] يلتزمها بثلاثة دنانير ونصف دينار فى كل يوم، فأبطل مولانا أبو فارس هذا، وأوقف فى ذلك رجالاً من الثقاة والأمناء والنجباء على وجه الأمانة.

وكان على الزفانين[٥٠] والمغنيات مغارم قبيحة سحتية، فتركها عنهم. وكان المخنثون والحوى بتونس عليهم مغارم ووظائف خدمة دار السلطان،

---

(٤٦) فى الحلل السندسية: «فندق البياض» وهو تعبير متداول عند أهل تونس للدلالة على الفحم.

(٤٧) ق: «مرتجيزهم»، ا: «برتجيزة».

(٤٨) فى الحلل السندسية: «مائتى دينار».

(٤٩) المكاسين: جمع مكاس،والمكس، انتقاص الثمن فى البياعة، ومنه أخذ المكاس لأنه يستنقصه (لسان العرب ٤٢٤٨/٦).

(٥٠) قال فى اللسان: «الزفن، الرقص، ومنه حديث عائشة رضى الله عنها: قدم الحبشة، فجعلوا يزفنون ويلعبون» وفى المخطوطات التى بين أيدينا: «الزفافين» والتصويب من الحلل السندسية.

فترك مغارمهم وأجلاهم عن جميع بلاده، لما بلغه عنهم من قبيح المعاصى والمناكير.

وفى أول أيامه السعيدة غزا أسطوله مدينة طرقونة بجزيرة صقلية[٥١]، فاستولى عليها عنوة[٥٢]، وهدم سورها، وأتى منها بالمغانم الجليلة، والشىء الكثير.

وأما فتوحات أفريقية، ومحوه لآثار أهل الفتن بها بعد اليسير من السنين، فأمر عجيب لا يكاد يسعه مكتوب، كمدينة طرابلس[٥٣]، وفاس، وقابس[٥٤]، والحامة، وقفصه[٥٥]، وتوزر[٥٦]، ونفطة[٥٧]، وبسكرة[٥٨]، وقسنطينة[٥٩]، وبجاية[٦٠]، حتى أذل الله تعالى لعزه فيها كل جبار.

---

(٥١) راجع ص٤٦.

(٥٢) عنوة: أى قهرًا، ويقول علماء اللغة إنها من الأضداد (راجع المصباح المنير ٤٣٤).

(٥٣) طرابلس: عاصمة ليبيا، ميناء على البحر المتوسط، فتحها عمرو بن العاص، واستولت عليها إيطاليا سنة ١٩١١، بها بعض كليات الجامعة الليبية (الموسوعة الميسرة ١١٥٥).

(٥٤) فى المخطوطة: «قابص» والمثبت من الحلل السندسية، قال فى مرصد الاطلاع (١٠٥٤) «مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل بحر المغرب، من أعمال أفريقية، وبها مرفأ السفن من كل مكان، بينها وبين البحر ثلاثة أميال».

(٥٥) قفصة: مدينة تقع فى جنوب وسط تونس، فى واحة خصيبة (الموسوعة الميسرة ١٣٩٠).

(٥٦) توزر: مدينة فى أقصى أفريقية بينها وبين قفصة عشرة فراسخ، وأرضها سبخة بها نخل كبير (مراصد الاطلاع ٢٨٠).

(٥٧) فى الحلل السندسية: «ونفطة» وفى أ، ب: «ونقنة».

(٥٨) بسكرة: مدينة بالجزائر، فى واحة وفيرة بالمياه (الموسوعة الميسرة ٣٧٢).

(٥٩) فى ق: «قسطينة». والصحيح ما أثبت.

(٦٠) بجاية: ميناء بالجزائر، على شاطئ البحر المتوسط (الموسوعة الميسرة ٣٢٧).

وقد كانت أعراب أفريقية قبله بالاختيار على ملوكها، وكانوا يحاصرون المدائن، ويشاركون أهل السلطنة فى مجابيها قهرًا، ولهم مع الملوك أخبار معلومة، حتى قهرهم الله تعالى جلت قدرته بهذا السلطان المؤيد. فصار يقودهم معه[٦١] أجنادًا فى أغراض أسفاره شرقًا وغربًا بعد أن أباد كثيرًا من أعيانهم، ورءوس مشايخهم، وصار يبعث قواده يتبعون نجوع العرب لاستيفاء زكاة مواشيهم، وهم صاغرون وتحت السمع والطاعة مذعنون. زاده الله من فضله، وأمده بنصره.

(٦١) ق: «ومعه أجناد فى أغراض السفر».

الفصل الثالث

فى الرد على النصارى

ونريد أن نرد عليهم بنص أناجيلهم، وما قاله الأربعة الـذين كتبوا الأناجيل الأربعة، ونؤكد[١] ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ وما أتت به الأنبياء المتقدمون[٢] من ثبوت نبوته فى كتبهم التى هى الآن[٣] موجودة بأيدى النصارى.

وهذا الفصل يشتمل على تسعة أبواب

الباب الأول:

فى ذكر الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم لعنهم الله.

الباب الثانى:

فى افتراق النصارى على مذاهبهم[٤]، وعدد فرقهم.

الباب الثالث:

فى فساد قواعد دين النصارى،والرد عليهم فى كل قاعدة منها بنص أناجيلهم.

---

(١) «ونؤكد عليهم فى ثبوت».

(٢) ط: «المقدمون».

(٣) ط: «الآن بأيديهم».

(٤) ط: «مذهبهم».

الباب الرابع:

فى عقيدة شرائعهم[٥] التى يتعلمها[٦] صغيرهم وكبيرهم، وهو أصل دينهم، والرد عليهم بأصل أناجيلهم[٧].

الباب الخامس:

فى بيان أن عيسى (عليه السلام) ليس بإله كما افترته النصارى، وأنه آدمى نبى مرسل بنص الأناجيل.

الباب السادس:

فى اختلاف الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم.

الباب السابع:

فيما نسبوا إلى عيسى (عليه السلام) من الكذب وهم الكاذبون.

الب الثامن:

فيما يعيبه النصارى على المسلمين أعزهم الله تعالى.

الباب التاسع:

فى ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ بنص الزبور والتوراة والإنجيل وبشارة الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) وما أخبر به الأنبياء من صحة بعثته، وبقاء ملته.

---

(٥) ط: «شريعتهم».

(٦) أ، ط: «يستعملها».

(٧) ب، ق: «الأناجيل».

الباب الأول

اعلموا - رحمكم الله - أن الذين كتبوا الأناجيل أربعة هم[1]: متى[2] وماركوس[3]، ولوقا[4]، ويوحنا[5]، وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى،

---

(١) ط: «وهم».

(٢) متى: يدعى أيضًا لاوى بن حلفى، وهو أحد الرسل الإثنى عشر، وكان من العشارين (جباة الضرائب) للدولة الرومانية فى كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين وما حولها، وكانت هذه الوظيفة محتقرة جدًا عند اليهود، ولكن السيد المسيح اختاره تلميذًا من تلاميذه، ولما صعد السيد المسيح إلى السماء جال للتبشير فى بلاد كثيرة، وتوفى سنة ٧٠م ببلاد الحبشة إثر ضرب مبرح أنزله به أحد جنود ملك الحبشة، وفى رواية أخرى أنه طعن برمح فى سنة ٦٢، بعد ما قضى نحو ٢٣ سنة مبشرًا بأثيوبيا كما هو الراجح، وكتب إنجيله باللغة العبرية (تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٢)

(٣) فى الترجمة الحديثة: «مرقس»: اسمه يوحنا، ويلقب بمرقص، وأصله من اليهود، وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح، وابن أخت القديس برنابا، وقد صاحب بولس وبرنابا فى رحلاتها وتبشيرهما بالمسيحية فى قبرص وآسيا الصغرى، ثم صاحب بطرس كبير الحواريين نفسه، وقضى معه شطرًا من حياته، وتبعه إلى روما، وبعد موت بطرس، ذهب مرقص إلى شمال أفريقية ثم إلى مصر، ونشر فيها المسيحية وأنشأ بها بطرياركة الإسكندرية التى يتولاها الآن بابوات الأقباط الأرثوذكس الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء مرقص، واستشهد فى مصر حوالى سنة ٦٨ ميلادية.
(الأسفار المقدسة ٧٤، وانظر أيضًا تاريخ الأمة القبطية ٢/٦١-٦٦).

(٤) لوقا: ولد فى أنطاكية ودرس الطب ونجح فى ممارسته وكان مرافقًا لبولس، ورافقه فى أسفاره وأعماله، وهو كاتب سفر أعمال الرسل. ويروى بعضهم أنه مات فى حكم نيرون. ويقول بعض آخر إنه مات فى مدينة بتراس (بلاد اليونان) سنة ٧٠م وكتب إنجيله باليونانية (تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣).

(٥) يوحنا: ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زبدى وأمه=

وزادوا ونقصوا، وبدلوا كلام الله تعالى (مثل ما أخبر عنهم سبحانه فى كتابه العزيز، وليس هؤلاء من الحواريين، الذين أثنى الله عليهم فى القرآن)[٦].

أما متى وهو الأول منهم، فما أدرك عيسى (عليه السلام) ولا رآه قط، إلا فى العام الذى رفعه[٧] الله فيه إلى سمائه (جل جلاله) وبعد أن رفع عيسى (عليه السلام) كتب متى الإنجيل بخطه، فى مدينة الإسكندرية وأخبر فيه بمولد عيسى (عليه السلام) وما ظهر عند ولادته من العجائب، وبخروج أمه به[٨] إلى أرض مصر خائفة من الملك رودس[٩] الذى أراد قتله[١٠] وسبب ذلك ما ذكره[١١] متى فى إنجيله: (أن ثلاثة نفر من

= سالومى وأخوه يعقوب الكبير، ويقول التاريخ المسيحى إن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح، وكانت مهنته صيد الأسماك كمهنة بطرس، وقف جهوده بعد اعتناقه المسيحية على نشرها والدعوة إليها، وتوفى بين سنتى ٩٨، ١٠٠ بعد الميلاد.

(راجع فى ترجمته الأسفار المقدسة ٦٩ وتاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣ وقاموس الكتاب ١١٠٨).

(٦) ما بين القوسين من: «ق».

(٧) ب: «رفع فيه إلى السماء».

(٨) «به»: من أ.

(٩) فى الترجمة الحديثة: «هيرودس» دخل القدس فاتحًا بمعونة الرومان، تزوج عشر نساء وكان له أبناء كثيرون يتنافسون على وراثة العرش، كان هيرودس قاسى القلب يسعى وراء مصلحته، قتل عدة زوجات وأبناء خوفًا من مؤامراتهم، ولد نبى الله عيسى. أواخر أيامه، بعد أن كانت نقمة الشعب عليه قد بلغت أشدها، مرض مرضًا خطيرًا، وسافر إلى شرقى الأردن للاستشفاء بحماماتها، ثم عاد إلى أريحا أسوأ مما كان عليه قبلاً، وهناك مات، وهو فى السبعين من عمره، بعد أن ملك أربعا وثلاثين سنة، ويقال إنه أمر بقتل وجهاء القدس ساعة موته حتى يعم الحزن المدينة، ولا يجد أحد السكان فراغا ليبتهج بموت ملكه المكروه.

(انظر: قاموس الكتاب المقدس ١٠٠٨).

(١٠) ط: «قتل ابنها عيسى عليه السلام».

(١١) أ: «ماذكر» ب: «على ذكر».

المجوس[١٢] الذين فى دواخل المشرق، وردوا إلى بيت المقدس، وقالوا: أين هذا السلطان الذى ولد فى هذه الأيام؟ فإنا رأينا نجمه طلع ببلادنا وهو دليل ميلاده، وقد أتينا له[١٣] بهدية، فلما سمع الملك رودس بذلك[١٤] تغير، وجمع علماء اليهود وسألهم عن هذا[١٥] المولود، فقالوا له: إن أنبياء بنى إسرائيل (عليهم السلام) أخبرونا فى كتبهم أن المسيح (عليه السلام) يكون مولده ببيت المقدس فى[١٦] بيت لحم[١٧] فى هذه الأيام، فأمرهم أن يسيروا إلى بيت لحم، ويبحثوا عن هذا المولود، فإذا وجدوه يعرفونه[١٨] به، وذكر لهم أن قصده الاجتماع به، وأن يعبده، وليس الأمر كما ذكر، بل كان ذلك منه مكرًا وخديعة، وكان عازمًا على قتله، فانصرف المجوس الثلاثة إلى بيت لحم فوجدوا مريم وابنها عيسى فى حجرها وهى ساكنة فى دويرة صغيرة[١٩]، فأعطوها الهدية، وسجدوا لابنها وعبدوه، ثم رأوا فى الليل ملكاً من الملائكة، فأمرهم أن يكتموا مولد عيسى (عليه السلام) وأن يرجعوا

---

(١٢) ط: «المجوس بدواخل المشرق».

(١٣) ب، ق: «أتيناه».

(١٤) ب: «بهذا».

(١٥) ب: «ذلك».

(١٦) ب: «فى بلد بيت لحم».

(١٧) بيت لحم: اسم عبرى معناه: «بيت الخبز» قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم، وهى محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة، وفيها مياه عذبة تتفجر من أراضيها الخصبة، ولد فى تلك القرية نبى الله عيسى (عليه السلام) ولبيت لحم أكثر من ٤٠٠٠ سنة منذ أسست ولم تزل صغيرة حتى إلى ما بعد أيام المسيح (عليه السلام).
(قاموس الكتاب المقدس ٢٠٥).

(١٨) ب: «يعرفوه».

(١٩) «صغيرة» سقط: ط.

من غير الطريق الذى أتوا منه[٢٠].

ثم أقبل الملك على[٢١] مريم وعرفها بمكر الملك رودس، وأمرها أن تهرب بعيسى (عليه السلام) إلى أرض مصر ففعلت ما أمرها به[٢٢].

هذا كلام متى فى إنجيله، وهو باطل وكذب وزور، وبيان ذلك: أن بيت لحم بينه وبين بيت المقدس خمسة أميال، فلو كان الملك رودس خائفاً من هذا المولود باحثًا عنه لسار بنفسه مع الثلاثة المجوس[٢٣]، أو يبعث معهم من ثقاته من ينصحه فى البحث عن المولود على أتم الوجوه. فهذا دليل على كذب متى فى هذه الحكاية.

وأيضًا فإن لوقا ومرقس ويوحنا لم يذكروا شيئًا من هذا فى أناجيلهم، ومتى لم يحضر المولود، ولكنه نقله عن كذاب[٢٤]افتعله على ما نقله.

وأما لوقا فلم يدرك عيسى (عليه السلام) ولا رآه أبدًا، وإنما تنصر بعد رفع عيسى (عليه السلام) وكان تنصره على يد بولس[٢٥] الإسرائيلى،

---

(٢٠) ب، ق: «منها».

(٢١) ط: «إلى».

(٢٢) إنجيل متى الأصحاح ٢ عدد ١:١٤.

(٢٣) ب، ق: «نفر».

(٢٤) ط: «كذاب فنقله على ما نقله».

(٢٥) بولس: كان اسمه (شاءول) وكان من ألد أعداء المسيحيين الأول، ولبولس هذا دور خطير فى المسيحية فهو مخترع المسيحية الحالية وواضع عقائدها، ومن أهم هذه العقائد التى وضعها بولس.

١ – تأليه المسيح والروح القدس والقول بالتثليث.

٢ – صلب المسيح تكفيرًا عن خطيئة آدم، وفداءً للبشر.

٣ – قيامة عيسى من الأموات، وصعوده إلى السماء، وجلوسه عن يمين الله.

٤ – أن عيسى هو الذى يحاسب البشر يوم القيامة وليس الله.

٥ – أن المسيحية دين للناس جميعًا، وليس قصرًا على بنى إسرائيل فقط. =

وبولس أيضًا لم يدرك عيسى ولا رآه، وكان من أكبر أعداء النصارى حتى حصل بيده[٢٦] أمرًا من ملوك الروم بأنه حيثما وجد نصرانيًّا يأخذه ويحمله إلى بيت المقدس، ويسجنه هناك.

وقد حكى لوقا المذكور فى كتابه الذى سماه: بقصص الحواريين[٢٧]» أن بولس هذا كان يسير مع جملة فرسان، وإذا به ينظر إلى ضوء كشعاع الشمس إذ سمع صوتًا من الضوء يقول له: «لأى شىء يا بولس تضرنى؟».

فهذه الحكاية كذب أو هى من خدع الشيطان «فقال له بولس: ومن تكون أنت ياسيدى؟ فقال له: أنا عيسى المسيح، فقال له بولس: وكيف ضررتك، وأنا ما رأيتك؟ فقال له: إذا ضررت أمتى كأنك ضررتنى، فارفع يدك عن مضرتهم، فإنهم على الحق، واتبعهم تفلح، فقال له بولس: يا سيدى وما تأمرنى به، فقال له سر إلى مدينة دمشق. فابحث[٢٨] فيها عن رجل اسمه «أنانيا»[٢٩] فهو يعرفك ما يكون عملك عليه، فسار إلى دمشق، وسأل عن الرجل فوجده وأخبره بما سمع من كلام عيسى، وطلبه

= وإلى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن، فهو الذى استبدل الأحد بالسبت، وهو الذى أمر بعدم الختان، وهو الذى سن للكنيسة تقاليدها من التراتيل والأناشيد والأغانى الروحية، وكان تحول بولس إلى المسيحية عام ٣٨م تقريبًا ويقال إنه قتل فى اضطهادات نيرون للمسيحيين عام ٦٦ أو ٦٧م تقريبًا. (راجع سفر أعمال الرسل وقاموس الكتاب المقدس ١٩٥، والمسيحية للدكتور شلبى ١٠٤، والملل والنحل للدكتور محمود مزروعة ٩٦).

(٢٦) «بيده» سقط ط.

(٢٧) يعرف هذا الكتاب الآن «بأعمال الرسل».

(٢٨) «فابحث فيها.... دمشق» سقط ط.

(٢٩) فى أعمال الرسل (٩:١٢) حنانيا، وفى أ، ب: «أتانيا».

أن يدخل معه فى دين النصارى، فأجابه لما طلب وعظمه بعد أن تبين إيمانه بعيسى (عليه السلام).

فهذا بولس تنصر على يد «أنانيا»، ولوقا تنصر على يد بولس – كما قلنا – وأخذ كتّاب الإنجيل عنه، وكلاهما لم يدرك عيسى ولا رآه قط، فهذا هو التخليط، وفيه دليل كذبهم وبطلانهم (أبعدهم الله تعالى).

وأما مرقس فما رأى – أيضا – عيسى (عليه السلام) قط وكان دخوله فى دين النصارى كذلك[٣٠] بعد أن رفع عيسى وتنصر على يد «بترو»[٣١] الحوارى، وأخذ عنه الإنجيل بمدينة روما[٣٢]، ومرقس هذا قد[٣٣] خالف أصحابه الثلاثة الذين كتبوا الأناجيل، فى مسائل جمة[٣٤] حسبما نبين ذلك فى الباب السادس (إن شاء الله تعالى).

وأما يوحنا فهو ابن خالة عيسى (عليه السلام) ويزعم النصارى أن عيسى حضر فى عرس[٣٥] يوحنا، وأنه حول الماء خمرًا فى ذلك العرس[٣٦]، وهذه[٣٧] أول معجزة ظهرت لعيسى (عليه السلام) وأن يوحنا لما رأى ذلك ترك زوجته، وتبع عيسى على دينه وسياحته.

ويذكر النصارى أن عيسى (عليه السلام) أوصى بوالدته مريم إلى ابن خالته يوحنا المذكور، وذلك حين حضرته اليهود، وأيقن بالموت على

---

(٣٠) «كذلك» من ب.

(٣١) المراد به بطرس.

(٣٢) راجع قاموس الكتاب المقدس ٨٥٣.

(٣٣) «قد»: من ب.

(٣٤) «جمة»: من أ.

(٣٥) ط: «وليمة».

(٣٦) أ: «العصر».

(٣٧) ب: «وان هذه».

زعمهم، وقال له: يا يوحنا الله الله فى والدتى، فإنها أمك، وقال لأمه: الله الله فى يوحنا فإنه ابنك وأوصاها به[٣٨].

ويوحنا هو الرابع من الذين كتبوا الأناجيل الأربعة - كما قلنا - ولم يذكر هذا الشىء أصلاً.

ويوحنا كتب إنجيله بالقلم اليونانى[٣٩] فى مدينة «سوس[٤٠]» فهؤلاء الأربعة هم الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وحرفوها وبدلوها وكذبوا فيها، وما كان الذى جاء به عيسى إلا إنجيلاً واحدًا لا تدافع فيه ولا اضطراب ولا اختلاف. وهؤلاء الأربعة ظهر عندهم وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلاف والكذب على الله تعالى وعلى نبيه عيسى (عليه السلام) ما هو معلوم مشهور، لا يقدر النصارى على إنكاره، حسبما نورد منه كفاية (إن شاء الله تعالى).

(فصل) فأما كذبهم فمنه ما قال مرقس[٤١] فى الفصل الأول من إنجيله «إن فى كتاب شعيا النبى عن الله تعالى يقول: إنى بعثت لك ملكًا أمام

---

(٣٨) راجع تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣ والمبادئ المسيحية لحبيب جرجس ٦، ٧ والأسفار المقدسة ٧٨.

(٣٩) بالقلم اليونانى: أى باللغة اليونانية، وكان تأليفه إياه حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال.

(٤٠) فى الترجمة الحديثة: «أفسس»: كلمة يونانية معناها «المرغوبة» وهى عاصمة المقاطعة الرومانية آسيا على الشاطئ الأيسر من نهر الكايستر وعلى مسافة ثلاثة أميال من البحر، وتجاه جزيرة ساموس، وقد بنى لها مرفأ صناعيا مما جعل أفسس ميناء بحريًا مهما فى العصور القديمة، اجتمع فيها المجمع المسيحى الثالث المسكونى فى سنة ٤٣١ ميلادية (قاموس الكتاب ٩٣).

(٤١) مرقس الأصحاح ١ عدد ٢ ولفظه فى الترجمة الحديثة: «كما هو مكتوب فى الأنبياء. ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيئ طريقك قدامك» وواضح من تلك الترجمة عدم التحديد حتى يبتعدوا عن الكذب الذى أشار إليه المؤلف.

وجهك» يريد به عيسى (عليه السلام).

وهذا الكلام لا يوجد فى كتاب شعيا، وإنما هو فى كتاب ملخيا النبى (عليه السلام) فهذا من أقبح الكذب على أنبياء الله تعالى، حيث يسند لأحدهم ما ليس فى كتابه.

ومنه ما حكى متى[٤٢] فى الفصل الثالث عشر من إنجيله أن عيسى (عليه السلام) قال: «يكون جسدى فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد موتى، كما لبث يونس فى بطن الحوت».

وهو من صريح الكذب والبهتان الذى كتبه متى فى إنجيله، لأنه وافق أصحابه الثلاثة على ما فى أناجيلهم: أن عيسى مات - بزعمهم - فى الساعة السادسة من يوم الجمعة، ودفن فى أول ساعة من ليلة السبت، وقام من بين الموتى صبيحة يوم الأحد، فبقى فى بطن الأرض على هذا الزعم الفاسد يوما وليلتين.

وعلى ما تقدم من قول متى أن عيسى قال إنه يبقى ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما بقى يونس فى بطن الحوت، فظهر كذب متى وتناقضه فى نقله.

ولا شك فى كذب هؤلاء الأربعة الذين كتبوا الأناجيل فى هذه المسألة، لأن عيسى (عليه السلام) لم يخبر عن نفسه، ولا أخبر الله عنه فى إنجيله بأنه يقتل ويدفن يوما وليلتين[٤٣]، ولا ثلاثة أيام ولياليها[٤٤]. بل هو كما أخبر الله تعالى عنه فى كتابه[٤٥] العزيز المنزل على رسوله الصادق الكريم:

---

(٤٢) إنجيل متى الأصحاح ١٢ عدد ٤٠ ولفظه: «لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال».

(٤٣) أ، ب، ق: «وليلة».

(٤٤) «ولياليها» سقط من ق.

(٤٥) سورة النساء: بعض آية ١٥٧.

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾.

ومنه ما قال مرقس[٤٦]: إن سيدنا المسيح لما قام من بين الموتى كلم الحواريين، ثم صعد إلى السماء من يومه، وخالفه لوقا[٤٧] فى كتابه الذى سماه: «بقصص الحواريين» فإنه ذكر فيه أن عيسى (عليه السلام) صعد إلى السماء بعد قيامه من بين الموتى بأربعين يومًا، وحسبك بهذا دليلا على كذبهم فى هذا من أصله، فوالله الذى لا إله إلا هو، ما قتل عيسى ولا دفن ولا قام من قبر بعد يوم ولا بعد أربعين يومًا، فلعنة الله على الكاذبين.

---

(٤٦) إنجيل مرقس الإصحاح ١٦ عدد ٩ - ١٩

(٤٧) ب: «يوحنا» والصحيح ما أثبت.

الباب الثانى

فى افتراق النصارى وتعدد[1] مذاهبهم وفرقهم

اعلموا - رحمكم الله - أن النصارى قد افترقوا على اثنين وسبعين فرقة[2].

الفرقة الأولى:

تعتقد أن عيسى هو الله الخالق البارى الذى خلق السموات والأرض، فيقال لهم: كذبتم وكفرتم وخالفتم أناجيلكم، فإن متى[3] قال فى الفصل السادس[4] والعشرين من إنجيله: (إن عيسى عليه السلام) قال

---

(١) ط: «على تعدد».

(٢) هذا رأى لم يقل به أحد من علماء النصارى، ولكن يبدو أن المؤلف اعتمد فى قوله هذا على ما ورد عن رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة فى الجنة، وسبعون فى النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة، والذى نفس محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين، فواحدة فى الجنة، واثنتان وسبعون فى النار» رواه ابن أبى الدنيا عن عوف بن مالك، ورواه أبو داود والترمذى والحاكم وابن حبان وصححوه عن أبى هريرة بلفظ افترقت اليهود على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، والنصارى كذلك، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم فى النار إلا واحدة، قالوا من هى يارسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابى. (كشف الخفاء ١/١٦٨ - ١٦٩).

(٣) إنجيل متى الأصحاح ٢٦ عدد ٣٨ : ٣٩.

(٤) أ: «الموفى عشرين».

للحواريين قبل الليلة التى أخذه فيها اليهود، قد تغاشيت من كرب الموت، ثم اشتد حزنه وتغير، وخر على وجهه وهو يبكى ويتضرع إلى الله تعالى: ويقول (يا إلهى: إن آمكن صرف كأس المنية فاصرفها، ولا يكون ما أشاء أنا، بل ما تشاء أنت).

فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمى عاجز يخاف نزول الموت عليه، وأن له إلها ناداه بإلهى، وتضرع إليه، وزادوا هم أنه مع آدميته وخوفه وحزنه كان من الشاكين فى قدرة الله تعالى حيث قال إن أمكن صرف كأس[٥] المنية «فاصرفها عنّى» لأن هذا عين الشك فى قدرة الله تعالى (جل ذكره).

ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شىء، فما معنى قوله، إن أمكن ذلك، وإن كان علم أن الله لا يمكنه[٦]، فما معنى سؤاله والتضرع إليه، وحاشا روح الله ورسوله أن يشك فى قدرة الله تعالى، بل كان عالما فى درجات اليقين بأن[٧] الله لا يعجزه شىء، وكل ما كان يجرى على يديه من المعجزات فإنما كان بقدرة الله تعالى، ومشيئته الإلهية، لا إله إلا هو.

ويقال لهذه الفرقة – أيضًا[٨] – قد خالفتم ما قال يوحنا[٩] فى الفصل السابع عشر من إنجيله: (إن المسيح رفع طرفه[١٠] إلى السماء وتضرع إلى الله (تعالى) وقال: يارب إنى أشكر لك[١١] استجابة[١٢] دعائى، وأعترف

---

(٥) «كأس» من ب.
(٦) أ: «لا يمكنه ذلك».
(٧) ق: «أن».
(٨) «أيضا» سقط ب.
(٩) إنجيل يوحنا الاصحاح ١٧ عدد ١–٤.
(١٠) أ: «بصره».
(١١) «لك» من ب، ق.
(١٢) ط: «استجابتك».

لك بذلك، وأعلم أنك فى كل وقت تجيب دعائى، ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين، فإنهم لا يؤمنون[١٣] أنك أرسلتنى).

فهذا المسيح قد اعترف أن له إلها، وتضرع إليه وشكر نعماءه وإجابته لدعائه، فكيف يقولون: إن عيسى هو الذى خلق السموات والأرض؟ وهل يكون فى العقول السليمة أشنع من هذا.

ومما بكتبهم ما قال يوحنا[١٤] فى الفصل الخامس من إنجيله: إن عيسى عليه السلام قال لليهود من يسمع كلامى، ويؤمن بالذى أرسلنى دخل الجنة).

وفى هذا الفصل من إنجيله[١٥]: «أن اليهود قالوا يا عيسى[١٦] من يشهد لك بما تقول؟ فقال الرب الذى أرسلنى هو الذى يشهد لى».

فهذا[١٧] عيسى مقر بأنه نبى مرسَل، وأن له ربًّا أرسله، وأن الذى يعمل بما يسمع منه ويؤمن بالذى أرسله دخل الجنة.

ومما بكتبهم - أيضا - ما قال مرقس[١٨] فى الفصل الأول من إنجيله إنه كان ببيت المقدس مجنون يتكلم الجنى على[١٩] فمه فاجتاز عليه عيسى فصاح به الجنى[٢٠]، وقال يا عيسى: أى شىء لك عندى؟ أتحب أن تخرجنى من هذا الجسد حتى يعلم الناس أنك نبى، وأنك روح الله، وأن الله

---

(١٣) ط: «يؤمنون بالذى أرسلنى».
(١٤) إنجيل يوحنا الاصحاح ٥ عدد ٢٤.
(١٥) إنجيل يوحنا الاصحاح ٥ عدد ٣٦.
(١٦) ط: «لعيسى».
(١٧) ط: فهذا دليل على أن عيسى.
(١٨) إنجيل يوحنا الاصحاح ٥ عدد ٣٦.
(١٩) ط: «من».
(٢٠) ط: «الجن».

تعالى أرسلك؟؟ فأمره عيسى بالخروج فخرج وقام الرجل صحيحًا سالمًا، فتعجب الحاضرون من ذلك).

وهذا غاية الوضوح والدلالة على أن عيسى بشر من[٢١] جملة البشر، ورسول من جملة الرسل (صلى الله عليهم أجمعين).

الفرقة الثانية:

تعتقد أن عيسى ابن الله، وأنه إله وإنسان فهو إله من جهة أبيه[٢٢]، وإنسان من جهة أمه، وأن اليهود قتلوا إنسانيته، وأن الألوهية بعد ما دخل جسد إنسانيته القبر نزلت[٢٣] إلى جهنم، وأخرجت منها آدم، ونوحًا، وإبراهيم. وجميع الأنبياء وأنهم كانوا فيها من أجل خطيئة أبيهم آدم فى الأكل من الشجرة، وأن جميع هؤلاء الأنبياء صعدوا إلى السماء فى صحبة الألوهية بعد اجتماع لاهوته بناسوته.

وهذا الاعتقاد[٢٤] فى غاية الكفر، والحمق، والفساد، فى دينهم. فنعوذ بالله مما ابتلاهم به.

ويقال لهم: كذبتم على الله وعلى رسوله عيسى. ودليل ذلك ما هو فى كتبهم، وما قاله[٢٥] مرقس[٢٦] فى الفصل الثانى عشر من إنجيله: إن

---

(٢١) «من جملة البشر» من أ.

(٢٢) ق: «الله».

(٢٣) ط: «فنزل... وأخرج».

(٢٤) أ: «اعتقاد».

(٢٥) ق: «وما قاله متى فى الفصل التاسع عشر».

(٢٦) إنجيل مرقس الاصحاح ١٢ عدد ٢٨ : ٢٩ ولفظه: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا، سأله أية وصية هى أول الكل. فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد».

عيسى (عليه السلام) قال للحواريين: (اعلموا واعتقدوا أن أباكم السماوى الذى فى السماء) يعنى بذلك الله تعالى – هو واحد فرد، لم يلد، ولم يولد، فأى شهادة على كذبهم أبين من هذا الذى فى إنجيلهم بشهادة عيسى (عليه السلام)؟.

وباقى فرق النصارى عقائدها كلها كفر وكذب وتحكم بالبهتان، وتركت ذكرهم قصد[٢٧] الإيجاز والتخفيف وبالله التوفيق.

---

(٢٧) ب، ق: «قصدًا للإيجاز».

الباب الثالث

فى بيان فساد قواعد دين النصارى

وهى التى لا يرغب عنها منهم إلا القليل، وعليها إجماع جمهورهم[1] الغفير، ونبين الرد عليهم بنص أناجيلهم فى كل قاعدة من قواعدهم.

اعلموا - رحمكم الله - أن قواعد دين النصارى خمس[2]، وهى:

* التغطيس.
* والإيمان بالتثليث.
* واعتقاد التحام أقنوم الابن فى بطن مريم.
* والإيمان بالقربان كيف ينبغى.
* والإقرار بجميع الذنوب للقسيس.

القاعدة الأولى: فى التغطيس وصفته[3].

اعلموا - رحمكم الله - أن لوقا[4] قال فى إنجيله: «إن عيسى (عليه

---

(١) أ، ق: «جمعهم»، ب: «جمهم».

(٢) ط: «خمسة».

(٣) التغطيس: ويسمى «المعمودية» أحد أسرار الكنيسة السبعة عند النصارى ويقولون عنه إنه «سر مقدس به نولد ميلادًا ثانيًا، بتغطيسنا فى الماء ثلاث دفعات على اسم الثالوث: الأب، والابن، والروح القدس».

(انظر: حبيب جرجس، أسرار الكنيسة السبعة ٢١).

(٤) انظر إنجيل مرقس ١٦ : ١٦.

السلام) قال من تغطس دخل الجنة، ومن لم يتغطس دخل[٥] جهنم خالدًا فيها أبدًا».

فمن أجل هذا النص، يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس.

فيقال لهم: ما تقولون في إبراهيم، وموسى، وإسحاق، ويعقوب، وجميع الأنبياء (عليهم السلام) هم في الجنة أم لا؟ فلابد أن يقولوا: هم في الجنة، فيقال لهم: كيف دخلوها ولم يتغطسوا؟ وهم يجيبون[٦] عن هذا بأن الاختتان أجزأهم عن التغطيس، فيقال لهم: ما[٧] تقولون في آدم[٨] ونوح (عليهما السلام) وذريته لصلبه، فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بنص أناجيلكم وإجماع علمائكم، وليس لهم عن هذا جواب البتة.

واعلموا أن هذه القاعدة في التغطيس مما افتعلوه مكذوبًا في أناجيلهم افتراءً على الله ورسوله.

وصفة التغطيس[٩]:

أن في كل كنيسة حوضًا رخامًا وكيزانًا[١٠] يملؤه القسيس بالماء، ويقرأ

---

(٥) ط: «فله».

(٦) ط: «مجيبون».

(٧) ط: «فما».

(٨) «آدم» سقط أ.

(٩) قال صاحب المبادئ المسيحية: «يتم بواسطة التغطيس في الماء، ولا يمكن أن يتم بالرش، بل بانغمار الجسم كله في الماء، إذ أن كلمة معمودية معناها في الأصل «صبغة» وصبغ الشيء لا يتم إلا بوضعه في السائل وغمره به» (حبيب جرجس ٢/١٠٦ - ١٠٧).

(١٠) ط: «أو كذا» وفي ق: «أو كدان».

عليه ما تيسر من الإنجيل، ويرمى فيه ملحًا كثيرًا وشيئًا من دهن البلسان[١١]، فإن كان أحد يطلب أن يتغطس ممن تنصر وهو رجل كبير السن يجتمع له بعض أعيان النصارى مع القسيس ليشهدوا عليه – بزعمهم – بين يدى الله بالتغطيس.

ويقول له القسيس عند حوض الماء المتقدم ذكره: يا هذا، اعلم أن التنصر أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وتعتقد أنك لا يمكن لك دخول الجنة إلا بالتغطيس، وأن ربنا عيسى ابن الله، وأنه التحم فى بطن أمه مريم فصار إنسانًا وإلـها فهو إلـه من جوهر أبيه وإنسان من جوهر أمه، وأنه صلب ومات وعاش، وصار حيًّا بعد ثلاثة أيام من دفنه، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، ويوم القيامة هو الذى يحكم بين الخلق، وأنك آمنت بكل ما يؤمن به أهل الكنيسة، فهل آمنت بهذا كله؟؟ فيقول المتنصر: نعم، فحينئذ يأخذ القسيس صحفة من ماء ذلك الحوض، ويسكبها[١٢] عليه، وهو[١٣] يقول له: وأنا أغطسك باسم الأب والابن والروح القدس،

---

(١١) بلسان: وطن البلسان بلاد الحبش، وهو شجر يبلغ علوه ١٤ قدمًا، ذو ساق ناعمة وأوراق خضراء، وقد ذكر له الأطباء فى القديم منافع عظيمة فى شفاء الأمراض والجروح، وقد كان التجار يحملونه إلى مصر ويبيعونه لسكان البلاد الذين يحنطون موتاهم به. (راجع قاموس الكتاب المقدس ١٨٨).

ويقول القلقشندى فى وصفه: «هو نبات يزرع ببقعة مخصوصة بأرض المطرية من ضواحى القاهرة، ويسقى من بئر مخصوصة هناك، يقال إن المسيح (عليه السلام) اغتسل بها حين قدمت به أمه إلى أرض مصر، والنصارى تزعم أنه حفرها بعقبه وهو طفل، حين وضعته أمه هناك... والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم تنصر نصرانى حتى يوضع شىء من هذا الدهن فى ماء المعمودية عند تغطيسه فيها». (انظر: صبح الأعشى ٢/٢٨٣).

(١٢) هذا عند بعض فرق النصارى، أما فرقة «الأرثوذكس» فتؤكد على ضرورة التغطيس ولا تكتفى بالرش. (راجع أسرار الكنيسة ٣١).

(١٣) ب: «ويقول له».

ثم يمسح الماء عنه بمنديل وينصرف، وقد دخل دين النصارى.

وأما تغطيس ولدان[١٤] النصارى، فهو فى اليوم الثامن من ولادتهم، يجيء بهم آباؤهم إلى الكنيسة، ويوضع[١٥] الولد بين يدى القسيس فيخاطبه القسيس بالكلام المتقدم ذكره، فيقرر عقائدهم عليه، ويجاوب[١٦] عنه أبوه وأمه بقولها: نعم، ثم يحملان ولدهما وقد تنصر. فهذه صفة تغطيسهم.

واعلموا أن هذا الماء الذى يضعه القسيس فى أحواض الكنائس منه ما يبقى أعوامًا وأحقابًا طويلة ولا ينتن، ولا يتغير، فيتعجب عوام النصارى من ذلك، ويعتقدون أنه من بركة القسيس، وبركة الكنيسة، ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان وهما اللذان يمنعان من تعفن الماء، والقسيس لا يرمى ملحًا ولا دهن بلسان إلا فى الليل، أو فى وقت لا يراه أحد من عامة النصارى البتة.

وهذا من بعض حيل القسيسين فى ضلالتهم وإضلالهم، وقد كنت فى الجاهلية زمانًا فى ذلك الدين صنعت ذلك، وغطست كثيرًا من النصارى مرارًا، والحمد لله الذى هدانى إلى الحق، وأخرجنى من الظلمات إلى النور.

---

(١٤) اختلف النصارى فى وجوب تعميد الأطفال، فقال بعضهم: إنه لا لزوم لتعميد الأطفال، وأن التعميد للذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد، بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة، إلا أن طائفة الأرثوذكس تعتبر معمودية الصغار واجبة، ولذلك يقول صاحب المبادئ المسيحية: «فالذين ينكرون وجوب معمودية الأطفال يخطئون فى حق الله ويضادون كتابه المقدس وتعليمه الصريح».
(راجع قاموس الكتاب ٦٣٧، والمبادئ المسيحية ٢/١٠٥-١٠٦).

(١٥) فى بعض النسخ: «ويضع».

(١٦) ق: «ويجيب».

القاعدة الثانية: وهي الإيمان بالتثليث.

وعندهم لا يمكن دُخول الجنة إلا به على ما شهدت به أئمة الضلال والكفر والإضلال من أوائلهم، فيؤمنون بأن الله - تعالى عن قولهم - ثالث ثلاثة، وأن عيسى هو ابن الله، وأن له طبيعتين[١٧]، ناسوتية ولاهوتية، وتلك الطبيعتان صارتا شيئًا واحدًا، فصار اللاهوت إنسانا محدثًا، تامًّا مخلوقًا. وصار الناسوت إلـها تامًّا خالقًا غير مخلوق.

وبعضهم يقولون: الثلاثة هم الله، وعيسى، ومريم. ولا شك فى كفر القائلين.

ولا يشك ذو عقل سليم أن كل من له مسكة[١٨] من العقل يجب عليه أن يحول[١٩] نفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السخيف الرذيل الفاسد، الذى تتنزه عنه عقول الصبيان، ويضحك منه ومنهم، ذو الأفهام والأذهان[٢٠]، فالحمد لله الذى أخرجنى من زمرتهم وعافانى من بينهم..

ويلزمهم على مقتضى[٢١] قولهم - أن المسيح[٢٢] ابن الله - أن تكون

---

(١٧) هذا ما تقول به فرقة الكاثوليك، أما فرقة الأرثوذكس فيرون أن للمسيح طبيعة واحدة.

(١٨) قال فى لسان العرب (٤٢٠٤/٥): «رجل ذو مسكة ومسك، أى رأى وعقل يرجع إليه، وفلان لا مسكة له، أى لا عقل له. ويقال: ما بفلان مسكة أى ما به قوة ولا عقل، ويقال: فيه مُسكة من خير بالضم، أى بقية».

(١٩) ط: «يرغب».

(٢٠) «والأذهان... من بينهم» من أ.

(٢١) ط: «مفترى».

(٢٢) «أن المسيح ابن الله» من أ.

ذاته كذات الله، وله علم وقدرة كعلمه وقدرته، إلى سائر الصفات الأزلية، وهذا باطل.

وبيان بطلانه: ما قاله مرقس[٢٣] فى الفصل الثالث عشر من إنجيله: «إن الحواريين سألوا عيسى عن الساعة التى هى القيامة، فقال لهم: إن ذلك اليوم لا تعلمه الملائكة الذين فى السماء، ولا يعلمه إلا الأب وحده» يعنى الله تعالى.

فهذا إقرار من عيسى بأنه ناقص علم حتى عن الملائكة، وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها، وأن عيسى لا يعلم إلا ما علمه الله تعالى.

وفى الفصل السادس والعشرين من إنجيل متى[٢٤] أن عيسى (عليه السلام) حين عزم اليهود على أخذه وقتله تغير فى تلك الليلة وحزن حزنًا شديدًا» وكل من يحزن ويتغير فليس بإله، ولا بابن إلـه عند كل ذى عقل صحيح، وإن هذا لأشنع من قولهم فى هذه القاعدة: بأن عيسى له طبيعتان،

---

(٢٣) إنجيل مرقس الأصحاح ١٣ عدد ٣٢ ولفظه فى الترجمة الحديثة: «وأما ذلك اليـوم وتلك السـاعـة فلا يعلم بهـا أحد ولا المـلائكة الـذين فى السـماء ولا الابن إلا الأب».

قال ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح (٢/٢٢٣): «وأما قول المسيح عليه السلام لما سئل عن علم الساعة فقال لا يعلمها إنسان ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب فقط فنفى عن نفسه علم الساعة. وهذا يدل على شيئين: على أن اسم الابن إنما يقع على الناسوت دون اللاهوت، فإن اللاهوت لا يجوز أن ينفى عنه علم الساعة ويدل على أن الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله، وهذا يبطل قولهم بالاتحاد، فإنه لو كان الاتحاد حقا كما يزعمون لكان الابن يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه فإنه هو الله عندهم، والناسوت لا يتميز عندهم عن اللاهوت، فيما يوصف به المسيح من كونه عالمًا قادرًا يحيى ويميت».

(٢٤) إنجيل متى الأصحاح ٢٦ عدد ٣٧ : ٣٨ ولفظه: «ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم نفسى حزينة جدًّا حتى الموت».

لاهوتية وناسوتية، وأنهما صارتا شيئًا واحدًا، وهذا أقبح ممن يقول: إن الماء والنار صارا شيئًا واحدًا، والنور والظلمة صارا شيئًا واحدًا، لأن ادعاء هذا فى النار والماء، والنور والظلمة، إنما كان محالاً من جهة أن كل واحد من هذا ضد الآخر، وخالق الخلق الغنى بذاته وصفاته عنهم، المقدس[٢٥] فى عظمته وكبريائه عن شبه شىء منهم، كيف يتقرر فى عقل سليم أنه مازج بعض مخلوقاته حتى صارا[٢٦] شيئًا واحدًا، فتعالى الله الملك الحق عما يشركون علوًّا كبيرًا.

وأين كان لاهوته لما مات ناسوته، لا سيما على قولهم إنهما اتحدا وتمازجا والتحما؟؟ فما الذى فرق بينهما[٢٧] عندما ضرب جسده وناسوته بالسياط - على زعمهم - وعصب رأسه بالشوك، وصلب على خشبة وطعن بالرماح حتى مات وهو يصيح جزعًا وخوفًا؟؟

فأين غاب لاهوته عن ناسوته فى هذه[٢٨] الشدائد؟! مع[٢٩] الممازجة والالتحام على قولهم؟.

وهم يزعمون أن لاهوته فارقه عند الصلب والقتل، وهبط إلى جهنم فأخرج منها الأنبياء، وكان ناسوته فى القبر مدفونا حتى رجع إليه لاهوته فأخرجه من القبر ورجع إليه، ثم صعد به إلى السماء.

هذه كلها دعاوى باطلة، وهى من الكفر الركيك، وفضايح لا يرخصها عقل سليم، وكيف يزعمون أن لعيسى طبيعتين صارتا شيئًا واحدًا، وفى

---

(٢٥) ط: «المتقدس».

(٢٦) ط: «صار».

(٢٧) ط: «بينهم».

(٢٨) «هذه» من أ.

(٢٩) «مع» من أ.

أناجيلهم ما يشهد بأنه ليس له إلا طبيعة[٣٠] واحدة آدمية؟!.

وبرهان ذلك ما قاله متى[٣١] فى الفصل[٣٢] الثالث عشر من إنجيله: «إن عيسى (عليه السلام) لما انتقل إلى المدينة التى ولد بها، استخف الناس به، فقال لا يستخف بنبى إلا فى مدينته».

فهـذا إقرار منـه بأنـه نبى من جملة الأنبياء، وليس لـلأنبيـاء كلهم إلا طبيعة واحدة آدمية.

ويؤيد ذلك أيضا - ما قاله شمعـون[٣٣] الصفا (رئيس الحـواريين)

---

(٣٠) يقول الأرثوذكس: إن للمسيح طبيعة واحدة إلـهية. بخلاف الكاثـوليك الذين يرون أن للمسيح طبيعتين، لاهوتية وناسوتية.

(٣١) إنجيل متى الاصحاح ١٣ عدد ٥٧ ولفظه: «وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته».

(٣٢) أ، ب، ق: «الفصل العاشر».

(٣٣) شمعون الصفا: المراد به بطرس، كان اسمه الأصلى سمعان، وكانت مهنته صيد الأسماك، وقد دعاه المسيح لمتابعته فآمن به وسماه المسيح «كيفا» (وهى كلمة آرامية تدل على معنى الحجر أو الصخرة» وقال له أنت الصخرة التى سـأبنى عليها كنيستى، ثم ترجم هذا الاسم إلى اللاتينية فى كلمة معناها الصخرة فى هذه اللغة وهى «بطرس» وهو رئيس الحواريين جميعًا وأشدهم ملازمة للمسيح. وقد وقف جهوده على التبشير بالمسيحية فى عهد المسيح ومن بعده فى كثير من البلاد. فذهب إلى أنطاكية وغيرها، وانتهى به المطاف فى روما حيث قبض عليه وزج فى السجن وحكم عليـه بالإعدام صلبًا سنة ٦٧ على الأرجح فى زمن نيرون إمبراطور الدولة الرومانية. وهو الذى أنشأ كنيسة روما التى يتولاها بابوات الكنيسة الكاثوليكية. وهم يعتبرون أنفسهم خلفاء بطرس. ولذلك تسمى كنيستهم الكنيسة البطرسية. وإليه تنسب رسالتان من الرسائل السبع التى يسمونها «الرسائل الكاثوليكية» وينسب إليه كذلك أنه قد أشرف على تدوين إنجيل مرقس، بل إن بعض المؤرخين ليذهب إلى أنه هو الذى ألف هذا الإنجيل ونسبه إلى تلميذه مرقص. (الأسفار المقدسة ٦٨، وانظر أيضًا تاريخ الأمة القبطية ٥٦/٢ وقاموس الكتاب المقدس ١٧٤).

لليهود عندما نافقوا على المسيح، فقال: «يا رجال بنى إسرائيل اسمعوا مقالتى، إن المسيح هو رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة والتأييد والمعجزات التى أجراها الله تعالى على يديه وأنتم كفرتم به».

هكذا فى كتاب «قصص الحواريين»[٣٤] وهو عند النصارى كالإنجيل، فأى خبر أوثق من خبره، وأى شاهد أعدل من شمعون الصفا، الذى يتبرك النصارى بذكره، ويؤمنون بكثرة صلاحه وفضله؟؟ وقد شهد على عيسى أنه رجل من جملة الآدميين، والأنبياء والمرسلين، الذين أيدهم الله بالمعجزات، وأن كل ما جرى منها على يديه، إنما هو بقدرة الله تعالى ليس للمسيح فيها[٣٥] كسب، فأين هذا الحق ونوره من ظلمة كفرهم فى قولهم إن اللاهوت لما التحم بناسوت عيسى - وهو جسده - صار إلـٰها تامًّا غير[٣٦] مخلوق؟ فيا عباد الله: تأملوا كيف استحوذ الشيطان بظلمة الكفر على بصائر هؤلاء حتى آمنوا بهذا المحال فى العقل والعادة، وقلدوا فيه أول الشياطين الذين اختلقوا[٣٧] لهم هذه العقيدة الشنيعة المرذولة، نعوذ بالله من حالهم ومآلهم.

وقال لوقا[٣٨] فى آخر إنجيله: (إن عيسى بعد ما قام من قبره لقيه

(٣٤) أعمال الرسل الإصحاح ٢ عدد ٢٢.

(٣٥) «فيها» من ب.

(٣٦) «غير مخلوق فقد كفروا فيا عباد الله» ط، ب.

(٣٧) ط: «اخلطوا».

(٣٨) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ عدد ١٣: ١٩ :ولفظه: «وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس، وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث. وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته فقال لهما ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين، فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها=

رجلان من تلاميذه، وهما القلوباس[٣٩] ولوقا، فقال لهما: مالكما حزينان؟ فقالا له: كأنك غريب وحدك فى مدينة المقدس لم تعرف ما جرى فيها فى هذه الأيام من أمر المسيح الذى كان رجلًا صادقًا[٤٠] مصدقًا من الله فى مقاله وأفعاله عند الله وعند الناس).

فهذه شهادة تلميذه - أيضًا - أنه رجل مصدق من الله ليس بخالق، ولا إلـه، ولا ابن إلـه، فتعالى الله عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا.

القاعدة الثالثة: وهى[٤١] اعتقادهم أن أقنوم الابن التحم بعيسى فى بطن مريم وما سبب ذلك.

اعلموا - رحمكم الله - أن النصارى يعتقدون أن الله (تبارك وتعالى) عاقب آدم وذريته بجهنم من أجل خطيئة آدم فى أكله من الشجرة، ثم إن الله (تعالى) حنّ[٤٢] عليهم فمنّ عليهم بخروجهم من النار بأن بعث ولده فالتحم فى بطن مريم بجسد عيسى فصار إنسانًا من جوهر أمه، وإلـها من جوهر أبيه. ثم ما مكنه[٤٣] من خروج آدم وذريته من النار إلا بمنوته وبه[٤٤] يفدى جميع الخلق من يد[٤٥] الشيطان. وأنه مات بالقتل ثم عاش

= فى هذه الأيام. فقال لهما وما هى فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانا نبيا مقتدرًا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب».

(٣٩) ط: «القليوفاس».

(٤٠) من أ.

(٤١) ط: «وهى فى اعتقادهم».

(٤٢) حنّ: أى عطف وترحم (المصباح المنير ١٥٤).

(٤٣) ب: «أمكنه» والمثبت من أ، ق.

(٤٤) ط: «وبها».

(٤٥) سقط أ.

بعد ثلاثة أيام، ونـزل لجهنم وأخرج منهـا آدم وذريته من جميـع الأنبياء بزعمهم[٤٦].

فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث ودينهم المرذول الخبيث، كما مهد لهم أوائل شياطينهم، من غير استناد إلى دليل، ولا نقل عن نبى ولا رسول، وحاشا أنبياء الله ورسله من هذه الخسائس المضحكة، والفضائح المهلكة، والتناقض الواضح.

فمن المحال أن يكون الخالق الأزلى قد[٤٧] استحال لحمًا أو دمًا، أو يكون له ولد فى الأرض أو فى السماء، أو يكون قدمه وبقاؤه اللذان لا نهاية لهما، محدودين، أو متحيزين[٤٨]، أو متنقلين، كلا بل هو الله الذى لا شبيه له ولا نظير. تقدس جلاله وتعالى كماله، على أن[٤٩] يحـل فى بشر يمـوت، وكيف وهو الحى الذى لا يموت؟ أو يصير بذاته العلية القدسية فى بطن امرأة، وهو الذى وسع كرسيه السمٰوات والأرض.

ويقال لهم: إنكم[٥٠] تعتقدون أن عيسى هو الله، ومن لم يعتقد هـذا فليس بنصرانى، فلا يجدون بدًّا من[٥١] أن يقولوا: نعم. فيقال لهم: لقد أقدمتم على بهتان عظيم، ومحال بين، حيث صيرتم إنسانًا من الناس خالقًا أزليًا، وهو حادث مخلوق، ولا يخلو أمركم فى عيسى من خمسة أوجه.

---

(٤٦) سقط أ، ق.

(٤٧) من ب.

(٤٨) ب: «محيزين».

(٤٩) «على أن» من أ

(٥٠) ط: «لا أنتم».

(٥١) ب: «سوى».

الوجه الأول:

إما أن تكونوا[٥٢] جعلتموه إلهًا أزليًا أو[٥٣] مسكنًا للإله الأزلى.

والوجه الثاني:

هل قال عيسى[٥٤] هذا عن نفسه، أو قال عنه تلاميذه الذين نقلوا لكم دينه.

الوجه الثالث:

أن تكونوا جعلتموه إلٰها لأجل الآيات الخارقة التى ظهرت على يديه.

الوجه الرابع:

أن تكونوا جعلتموه إلٰها لصعوده إلى السماء.

الوجه الخامس:

أن تكونوا جعلتموه إلها لعجب مولده، فى[٥٥] كونه من غير أب. فليس ذلك بأعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة، ولا مادة ولا طينة، ولا سمى شىء من الملائكة وآدم آلهة، وأنتم تمنعون من ذلك فأخبرونا ما الفرق[٥٦] بينهم وبين عيسى وهم فى حكمة الإيجاد أعجب منه.

---

(٥٢) ط: «يكون».
(٥٣) أ: «ومسكنا».
(٥٤) أ: «عيسى من نفسه»، ط: «عيسى عن نفسه».
(٥٥) أ: «لكونه».
(٥٦) ق: «بالفرق».

وإن قلتم: إن عيسى إله لأجل الآيات الخارقة التى ظهرت على يديه فعلماؤكم يعلمون أن اليسع النبى (عليه السلام) أحيا ميتًا فى حياته، وميتًا بعد وفاته(٥٧)، والمتصرف بمعجـزات الإحياء فى البـرزخ أى بعد المـوت أعجب منها قبل الموت، وإلياس(٥٨) النبى (عليه السلام) أحيا - أيضًا - ميتًا، وبارك فى دقيق العجوز ودهنها فلم يفرغ ما فى جرابها من الدقيق، وما فى قارورتها من الدهن سبعة أعوام، وسأل الله أن يمسك المطر سبعة أعوام، فأجاب الله دعاءه.

وإن قلتم: إن عيسى أطعم من خمسة أرغفة خمسة آلاف نسمة(٥٩)، فإن موسى كليم الله (عليه السلام) سأل الله العـظيم لقومـه، فأطعمهم المن والسلوى أربعين سنة، وعددهم أزيد من ستمائة(٦٠) ألف نسمة.

وإن كان عيسى مشى على البحر ولم يغرق فيه، فإن مـوسى (عليه السلام) ضرب البحر بعصاه فانفلق وصار فيه طرق عبر منها جميع قومه، وأتبعهم فرعون بجنوده فغرقوا كلهم، ثم فجر من صخرة اثنتى عشرة عينًا لكل سبط من بنى إسرائيل عين، وضرب أهل مصر بعشر آيات(٦١) من عجائب العذاب:

---

(٥٧) جاء فى سفر الملوك الثانى (الإصحاح ١٣ عدد ٢٠ : ٢١) أن اليشع بعد أن مات أتى بميت ووضع فى نفس القبر مع اليشع فعادت الحياة إلى جسم ذلك الميت حالما مس جثمانه عظام النبى.
(انظر: قاموس الكتاب المقدس ١١٢).

(٥٨) إلياس: لفظ يونانى معرب، ويدعى بالعبرية «إيليا» نبى عظيم عاش فى المملكة الشمالية. (قاموس الكتاب ١٤٤).

(٥٩) ب: «شخص».

(٦٠) ق: «ستة آلاف».

(٦١) راجع سفر التكوين الاصحاح السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر. هذا،=

الأولى: عصاه التى ألقاها من يده، فصارت ثعبانًا هائلًا، وابتلعت جميع حبال السحرة.

الثانية: نتن مياههم وموت ما فيها من الحيوان.

الثالثة: إرسال الضفادع عليهم حتى امتلأت منها منازلهم.

الرابعة: تسليط القمل على أجسادهم.

الخامسة: إرسال أنواع من العذاب عليهم.

السادسة: إهلاك بهائمهم كلها.

السابعة: خروج القروح فى أجسادهم.

الثامنة: نزول البرد عليهم حتى فسدت أشجارهم.

التاسعة: إرسال الجراد على جميع بلادهم.

العاشرة: ما غشاهم من الظلمة ثلاثة أيام ولياليها.

وإن قلتم: إن عيسى كان إلٰها بنفسه، لأنه صعد إلى السماء، فلذلك جعلتموه إلهاً، فيلزمكم فى إلياس وإدريس (عليهما السلام) أن تجعلوهما إلهين، لأنهما صعدا إلى السماء بلا خلاف عندكم فى ذلك، وأيونا الإنجيلى صعد إلى السماء بنص التوراة وإجماع علمائكم.

وإن قلتم: إن عيسى ادعى الألوهية لنفسه فلذلك جعلتموه إلهًا فقد جاهرتم بالكذب الفظيع، والبهتان الشنيع، وفى أناجيلكم ما يرد عليكم،

= وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الآيات بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفان والْجَرَادَ والْقُمَّل والضَّفَادِعَ والدَّم آيات مفصَّلَات فاستكبروا وَكَانوا قومًا مجْرِمِينَ﴾ (الأعراف آية ١٣٣) ويقول تعالى (النمل آية ١٢): ﴿فى تِسْع آيات إلى فرعون وقوْمِه إِنَّهُم كَانُوا قومًا فَاسِقِين﴾. وواضح من الآية الأخيرة أن الآيات تسع، وليست عشرًا كما يذكر المؤلف اعتمادًا على ما جاء فى سفر التكوين.

لأن فى الإنجيل[٦٢] الذى بأيديكم أنه حين صلب قـال: «إلهى، إلهى لم خذلتنى»وتقدم له من نص الإنجيل أنه قال: «إن الله تعالى أرسلنى إليكم». فأقر بأنه بشر من الأنبياء المرسلين، ونصوص أناجيلكم، فى هذا عديدة، على أن ما فى مفتعل كذبكم أنه صلب وصاح، ونادى إلهى، إلهى، ليس من منصوص الإنجيل الحق، بل هو بهتان كتّاب أناجيلكم، وافترائهم على الله تعالى، وإنما احتججنا به عليكم ليـظهر تنـاقضكم وافتضاحكم لبصـائر العقلاء، وبالله التوفيق.

القاعدة الرابعة: وهى الإيمان بالقربان[٦٣]:

وصفته: اعلموا - رحمكم الله - أن دين النصارى فى قربانهم[٦٤] كفر، وهو أن يعتقدوا على فطيرة من خبز إذا قرأ عليها القسيس بعض الكلمات أنها[٦٥] ترجع فى تلك الساعة جسد عيسى، وإذا قرأ بعض الكلمات على كأس خمر فإنه يصير فى تلك الساعة دم عيسى، والذى تقرر من سنتهم[٦٦]

---

(٦٢) إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ عدد ٣٤.

(٦٣) القربان: أحد أسرار الكنيسة السبعة، وهو سر مقدس به يأكل المؤمن - المسيحى - جسـد المسيح ويشـرب دمه، تحت شكـلى الخبز والخمـر. ويقول حبيب جرجس: إن الخبز والخمر بعد التقديس يستحيلان استحالة سرية (لا تدرك بالحواس) إلى جسد ودم المسيح، فإن كنا نأكل خبزًا ونشرب خمرًا، إلا أننا نأكل ونشرب تحت هذين الشكلين جسد المسيح ودمه الأقـدسين (المبـادئ المسيحية ٢/١١٧ - ١١٨). وتأمر الكنيسة بالإكثار من تناوله، ووجوب تناوله كل عام مرة واحدة عـلى الأقل (السابق ٢/١٢١) والحق أن مسألة القربان أو العشاء الربانى كما تسمى أحيانا من الأسباب التى أدت إلى ظهور فرقة الإصلاح الدينى التى تدعى «البروتستانت» أى المحتجين.

(٦٤) ط: «قرباتهم».

(٦٥) ط: «فانها».

(٦٦) ط: «سننهم».

فى ذلك أن كل كنيسة لها قسيس كبير يقوم بها، فيجيء قسيس كل كنيسة فى[٦٧] كل يوم بفطيرة صغيرة وزجاجة خمر، ويقرأ عليها عند صلاته، فيعتقد النصارى أن الفطيرة صارت جسد[٦٨] عيسى، والخمر صار[٦٩] دمه[٧٠]، ويأخذون[٧١] ذلك من قول متى[٧٢] فى الفصل السادس والعشرين من إنجيله: «إن عيسى جمع الحواريين يومًا قبل موته، وتناول خبزة وكسرها، وناولهم كسرة لكل إنسان، وقال لهم كلوا هذا جسمى، ثم ناولهم خمرًا وقال لهم اشربوا هذا دمى».

فهذا قول متى فى إنجيله، ويوحنا الذى كان حاضرًا لعيسى[٧٣] حتى[٧٤] رفع، لم يذكر شيئًا من خبر الخبز والخمر فى إنجيله، وهذا من الاختلاف الذى يدل على كذب متى ونقله للمحال[٧٥] والبهتان، والنصارى يعتقدون أن كل جزء من أجزاء فطيرة كل قسيس هو عيسى (عليه السلام) بجميع جسده فى طوله، وعرضه، وعمقه هو هو، ولو بلغت أجزاء الفطيرة مائة ألف جزء لكان كل جزء منها عيسى.

فيقال لهم: «إن[٧٦] جسد عيسى كان طوله عشرة أشبار مثلا وعرضه

---

(٦٧) «فى» سقط أ.

(٦٨) : «عين».

(٦٩) ط: «صارت» وليست فى ب.

(٧٠) حقيقة لا مجازا !!

(٧١) ق: «يأخذون».

(٧٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ عدد ٢٦ : ٢٨.

(٧٣) ب: «عند عيسى».

(٧٤) ب «حين».

(٧٥) أ، ط «المحال».

(٧٦) «أن» سقط من ب.

شبرين وعمقه شبرا، والفطيرة التى يقرأ عليها القسيس ما يمكن أن تكون ثلاثة أشبار فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار وعرضه شبران وعمقه شبر فى شىء طوله ثلث شبر[٧٧].

هذا محال فى كل عقل سليم، وهم يجيبون عن هذا بأن المرآة تكون قدر الدرهم[٧٨] والإنسان يرى فيها أكبر الأبراج والمبانى العالية إذا قابلها بذلك، وهى أكبر منها بأزيد من ألف مرة.

فيقال لهم: إن الذى يرى فى المرآة عرض لا جوهر، وأنتم تعتقدون أن[٧٩] جوهر عيسى وعرضه جميعا فى تلك الفطيرة، وهذا محال فى العقل.

ثم إنكم أجمعتم على أن عيسى صعد إلى السماء وهو جالس فيها عن يمين الله (تعالى عن قولكم) فمن[٨٠] الذى أنزل لكم جسده إلى تلك الفطيرة ؟!

ثم إن عيسى رجل واحد، وأنتم تعتقدون أن فى كل جزء من أجزاء الفطيرة جميع جسد عيسى، ولو انقسمت على[٨١] مائة ألف جزء. فلزمكم أن يكون فى[٨٢] كل فطيرة مائة ألف عيسى، ثم يتضاعف ذلك بمضاعفة عدد الفطائر، وبعدد الكنائس عندكم، فيصير عيسى أعدادًا لا تكاد تتناهى. وكل من قال هذا أو اعتقده فقد جعله الله أضحوكة للعالمين، ومسخرة للشياطين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصفة قربانهم بالفطيرة المذكورة وصلاتهم: أن القسيس يأمر خادمه أن

---

(٧٧) ق: «ثلاثة أشبار».

(٧٨) ب، ط «الدنيا».

(٧٩) «أن» سقط ب.

(٨٠) ب: «فما».

(٨١) «على» سقط أ.

(٨٢) «فى كل فطيرة»: من أ.

يعجن له فطيرة[٨٣] من سميد[٨٤] صافى ويخبزها ثم يحملها القسيس مع زجاجة خمر إلى الكنيسة، ويأمر بضرب الناقوس، وإذا[٨٥] اجتمع النصارى للصلاة ووقفوا صفوفًا فى الكنيسة يصب عليهم[٨٦] القسيس من خمر الزجاجة شيئًا فى كأس من فضة، ويجعل تلك الفطيرة فى منديل نظيف، ثم يتقدم قدام الصفوف كلها ويستقبل المشرق، ويأخذ الفطيرة فى يده ويقرأ عليها ما نصه عيسى المسيح ليلة أخذته اليهود فإنه أخذ الفطيرة[٨٧] بيده المباركة ورفع عينيه إلى السماء إلى القادر على كل شىء، وبعد التمجيد الواجب كسرها، وأطعم الحواريين كسرة كسرة، وقال لهم: كلوا هذا جسدى، وحين يتم القسيس هذا الكلام يسجد بذاته لتلك الفطيرة محققا أنه[٨٨] جسد عيسى، وأن عيسى هو ابن الله، ويقول القسيس فى سجوده مخاطبا الفطيرة[٨٩] أنت إله السموات والأرض، أنت الذى تجسدت فى بطن مريم، أنت ابن الله المولود قبل العوالم كلها، أنت من أجل[٩٠] أن تخلصنا من أيدى الشياطين، أنت الذى جالس إلى يمين أبيك فى السماء، نسألك أن تغفر لى ولأمتك التى خلصتها بدمك، ثم يظهر

---

(٨٣) كنيسة رومية هى التى ترى العشاء الربانى يكون بالفطير، بيد أن الكنيسة الشرقية توجب استعمال الخبز والخمير، وتذهب إلى أن استعمال الفطير بدعة نشأت منذ الجيل الحادى عشر. (راجع اختلاف النصارى حول استعمال الخبز والفطير فى كتاب أسرار الكنيسة السبعة ٨٧)

(٨٤) السميد: (الطعام) لسان العرب ٣/٣٠٨٩).

(٨٥) أ، ق: «فإذا».

(٨٦) «عليهم القسيس». من ب.

(٨٧) ط: «الخبز».

(٨٨) ب: «أنها»

(٨٩) ط، ا: «للفطيرة».

(٩٠) أ، ق: «أجل أنك تخلصنا» فى ط: «من أجلك أن تخلصنا».

تلك الفطيرة لصفوف النصارى فيقع جميعهم لها ساجدين.

ثم بعد ذلك يأخذ كأس الخمر ويقول لهم القسيس: إلهنا المسيح قبل موته أخذ كأسا من الشراب وأعطاه للحواريين، وقال لهم اشربوا هذا دمي، ثم يسجد القسيس للكأس، ويريه للنصارى فيسجدون له، ثم يأكل الفطيرة ويشرب ذلك الخمر، ويقرأ بعد ذلك ما تيسر من إنجيله، ثم يعطى الدعاء ويتفرقون. فهذه صلاتهم وقربانهم، نعوذ بالله من الخذلان.

القاعدة الخامسة: وهى الإقرار[٩١] بجميع الذنوب للقسيس: وصفة ذلك:

اعلموا - رحمكم الله - أن النصارى يعتقدون أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، وأن كل من يخفى منه ذنبًا فلا ينفعه إقراره[٩٢]. فهم فى كل سنة عند صيامهم يمشون إلى الكنائس، ويقرون بجميع ذنوبهم للقسيس الذى يقوم بكل كنيسة، وفى سائر أوقاتهم لا يقر أحد بذنب إلا إذا مرض وخاف الموت فإنه يبعث إلى القسيس فيصل إليه، ويقر له بجميع ذنوبه فيغفرها له، وهم يعتقدون أن كل ذنب غفره القسيس

---

(٩١) الإقرار: فى اصطلاح الكنيسة، هو إقرار الخاطئ بخطاياه أمام كاهن النصارى إقرارًا مصحوبًا بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطيئة وعدم الرجوع إليها، لينال الحل منه بالسلطان المعطى لـه من الله حسب ما يعتقدون». (أسرار الكنيسة ١٠٤ وراجع أيضًا المبادئ المسيحية ٢/١٢٥).

(٩٢) يقول جرجس فيلوثاوس فى المجلة القبطية (ص٢٥٦ وما بعدها) ولا ينبغى للمعترف أن يكتم شيئًا عن الكاهن فكريًا ولا قوليًا ولا عمليًا، فمتى كتمه شيئًا من مرضه أداه ذلك إلى هلاك نفسه وجسده لأنه يداويه بما له من بعضها وباقيها يقوى ويهيج فيهلكه».

فإنه مغفور عند الله تعالى، فمن أجل ذلك صار البابا[٩٣] الذى يكون بمدينة روما، - فهو خليفة عيسى فى الأرض بزعمهم - يعطى لمن شاء براءة بغفران الذنوب والتسريح من النار، ودخول الجنة، ويأخذ على ذلك الأموال الجليلة، وكذلك يفعل كل من ينوب عنه فى جميع أرض النصارى من القسيسين، ويعطون البراءة بالمغفرة وإيجاب الجنة والنجاة من النار[٩٤]، ويأخذ النصارى تلك البراءات بعد أن يعطوا عليها لمن يكتبها لهم المال الجزيل فيخفونها عندهم حتى إذا مات أحدهم جعلت تلك البراءة فى كفنه، واعتقادهم يقينا أنهم يدخلون الجنة بتلك البراءة، وهذا من حيل القسيس على أخذ الأموال من النصارى.

فيقال لهم: لأى شىء تصنعون هذا ولم يأمركم به عيسى؟ وتلاميذ عيسى ما أقروا بذنب قط لعيسى الذى زعمتم أنه هو الله وابنه، وهو أقرب على قولهم لمغفرة الذنوب من جميع القسيسين؟

---

(٩٣) البابا: لقب على القائم بأمور دين النصارى الملكانية (الكاثوليك) بمدينة رومية، والباب قائم فى النصارى مقام الخليفة، بل به عندهم يناط التحليل والتحريم، وإليه مرجعهم فى أمور دياناتهم، وأصله البابا بزيادةألف فى آخره، والكتاب يثبتونها فى بعض المواضع ويحذفونها فى بعض، وربما قيل فيه البابه بإبدال الألف هاءً. وهى لفظة رومية (أى يونانية) معناها أبو الآباء. وأول ما وضع هذا اللقب عندهم على بطرك الإسكندرية. وذلك أن صاحب كل وظيفة من وظائفهم كان يخاطب من فوقه منهم، بالأب، فالتبس ذلك عليهم فاخترعوا لبطريك الإسكندرية البابا دفعًا للاشتراك فى اسم الباب، وجعلوه أبا للكل، ثم رأوا أن بطرك رومه أحق بهذا اللقب، لأنه صاحب كرسى بطرس كبير الحواريين ورسول المسيح (عليه السلام) إلى رومية، وبطرك الإسكندرية صاحب كرسى مرقص الإنجيلى تلميذ بطرس الحوارى المقدم ذكره فنقلوا اسم البابا إلى بطرك رومية، وأبقوا اسم البطرك على بطرك الإسكندرية (القلقشندى: صبح الأعشى ٥/٤٧٢، ٨/٤٢).

(٩٤) البروتستانت يرفضون ذلك ولا يقرون به.

ثم إن القسيس لاشك عندكم فى أنه بشر مثلكم، وربما تكون له ذنوب أكثر من ذنوبكم، لا سيما فى تكفيركم برأيه وإضلالكم، فمن هو الذى يغفر له ذنوبه؟ ولكنكم أنتم قوم عمى، وقسيسكم أشد عمى منكم، والأعمى إذا قاد الأعمى وقعا فى المهالك، وكذلك تقعون مع قسيسكم فى نار جهنم خالدين فيها أبدًا، لأن المغفرة لذنوبكم مع كفركم وإشراككم قد[٩٥] قطع الله رجاءكم منها بقوله الصادق فى كتابه[٩٦] العزيز: ﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلك لِمَنْ يَشاءُ﴾.

فإذا كانت مغفرته لكم محالا بخبر الصادق، فمغفرة القسيس لكم أشد فى المحال وأقرب لسخرية الشيطان وجنوده منكم واستهزائه بكم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(٩٥) ب: «فقد».

(٩٦) سورة النساء: الآية ٤٨، ١١٦.

البـاب الرابـع

فى[1] عقيدة شريعتهم[2]

وجميع النصارى مستمسكون[3] بها إلى يـوم[4] القيامـة ولا يتركهـا إلا قليل منهم، وهى[5] كلها كفر ومحال ينقض[6] بعضها بعضا، وكان الذى ألّفها لهم رجل من قدمائهم يقال له «بيطر»[7] من أهل مدينة رومه، وهذا نصها[8]: «نؤمن بالله الواحد الأب، مالك[9] كل شىء صانع ما يُـرى وما لا يُرى، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، ولد من أبيهْ قبل العوالم كلها، ليس بمصنوع، إلـه حق من جوهر أبيه، الذى بيده أتقنت العوالم كلها، وهو خالق كل شىء الذى[10] من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، وصار

---

(١) ط: «فى بيان عقيدة».

(٢) ب: «شرائعهم».

(٣) ط: «متمسكون».

(٤) ط: «اليوم ولا يتركها».

(٥) أ: «وكلها».

(٦) ط: «يفسد».

(٧) ط «شمعون الصفا».

(٨) هذا ما يسمى عند النصارى بقـانون الإيمـان، الذى انتهت إليـه قرارات المجتمعين بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م (راجع: الشهرستانى، الملل والنحل ٢٢٣/١).

(٩) أ: «خالق».

(١٠) «الذى» سقط من ط.

إنسانا وحملت به مريم، وولد من مريم البتول، فأوجع وأولم وصلب فى أيام بيلاطوس الملك، ودفن وقام فى اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الأنبياء (وكذب الكافر على الأنبياء، صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين، وحاشاهم أن يقولوا مثل هذا المحال) ثم صعد إلى السماء، وجلس عن[١١] يمين أبيه[١٢]، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بالروح القدس الذى يخرج من الآب والابن وبه كان يتكلم الأنبياء.

والتغطيس هو غفران الذنوب، ونؤمن بقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين».

وهذا الكلام - رحمكم الله - ينقض بعضه بعضًا، فأوله نؤمن بالله الواحد الآب، مالك[١٣] كل شىء، صانع ما يرى ومالا يرى، ونؤمن بالرب الواحد[١٤] المسيح إلـه حق من جوهر أبيه. ففى أول كلامهم الشهادة لله بأنه واحد، ويليه الشهادة عليه تعالى بأن[١٥] له ولدًا، وهو إلـه مثله، وأنه من جوهره، وهذا فى غاية الكفر والشرك، وفى غاية الضد والتناقض لوحدانية الله الواحد الأحد لا شريك له، ولا شبيه له تبارك الله وتقدس عن كفرهم.

وقد قال فى أول كلامه: إن الله خالق كل شىء، ثم فيما بعده، ونؤمن بأن المسيح خالق الأشياء كلها الذى بيده أتقنت، فأثبت أن مع الله

---

(١١) ط: «على».
(١٢) أ: «الله».
(١٣) أ: «خالق».
(١٤) من أ.
(١٥) ط: «بأنه».

إلـهًا[١٦] خالقًا كل[١٧] شيء. وهذا من أفضح التناقض.

وكذلك قوله: إن الله تعالى صانع ما يرى وما لا يـرى فدخـل فيه المسيح لأنه بالضرورة مما يرى، ثم أعقب[١٨] ذلك بقوله: المسيح خالق كل شيء، وأنه غير مصنوع وهذا تناقض ورعـونة لـو ميزتهـا البهائم لأنكرتها[١٩] على النصارى، فنعوذ بالله من الخذلان، واستحواذ الشيطان، فإنه تلاعب بهم كيف أراد، وقادهم إلى جهنم وبئس المهاد.

وقد قال: «ولد من أبيه قبل العوالم، وهو بكر الخلائق كلها» فمتى خلق كـل شيء قبل ميـلاده وهو عـدم؟ أو[٢٠] بعد ميـلاده وهو صبى رضيـع؟!! ومن كان يـدبر السمـوات والأرض ومن فيهـا قبل ميـلاده وإيجاده؟ وكيف[٢١] يكون بكر الخلائق وهو الخالق لجميعها بزعم هذا لأن معنى قوله بكر الخلائق أى أول ما وجد منها وشريعة النصارى مبنية على هذا التناقض والمحال، لأنهم مجمعون[٢٢] على أن المسيح أزلى خالق[٢٣] وقديم، وأنه مولود ولد من بطن مريم بعد حملها به..

وهذا[٢٤] كله قد جعلهم الله به أضحوكة لجميع العقلاء العارفين، وقرة لعيون الشياطين.

---

(١٦) «إلـهًا» من أ.
(١٧) أ، ق: «لكل».
(١٨) أ: «عقب».
(١٩) ط: «لأنكروها».
(٢٠) ق: «أم».
(٢١) أ: «كيف».
(٢٢) ط: «يجمعون».
(٢٣) ب: «خالق قديم».
(٢٤) ب: «وبهذا».

وانظروا إلى[٢٥] قول هذا الخبيث: إن المسيح إلـه حق من جوهر أبيه، ثم قال إنه نزل من السماء فتجسد فى بطن أمه[٢٦]».

وهذا صريح فى[٢٧] أن المسيح كان جسدًا من جوهر فى السماء، ثم نزل منها فتجسد فى بطن مريم، وليس فى تجسد الأجسام والجواهر عجب، وإنما العجب أن يتجسد من ليس بجسد ولا جوهر، وتعالى ربنا خالق الجواهر والأعراض عن أن يكون له جوهر يتكون منه المسيح، أو أن يتجزأ أجزاء ليستقر[٢٨] منها جزء فى بطن مريم يختلط بدمها وبولها وروثها. فما أعظم جرأة هؤلاء الكفرة على الله تعالى، وما أعظم حلم الله تعالى عليهم والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاهم به.

واعلموا أن فى نصوص كتبهم ما يبطل هذه العقيدة وجميع عقائد كفرهم فى المسيح، وهو ما قال لوقا فى الفصل الرابع من قصص الحواريين[٢٩]: «إن الله خالق العوالم بجميع ما فيها، وهو رب السمٰوات والأرض، لا يسكن الهياكل التى طبعها الأيدى، ولا يحتاج إلى شىء من الأشياء، لأنه هو الذى أعطى الناس الهياكل والنفوس وجميع[٣٠] ما هم فيه من وجودنا به، وحياتنا منه».

وهذا الكلام الذى قاله لوقا هو الذى نزلت به كتب الله تعالى ونطقت به أنبياؤه (عليهم السلام) فقد تبين أن عقائد النصارى كلها كفر مفتعل

(٢٥) «إلى» من أ.

(٢٦) ط: «مريم».

(٢٧) ط: «بأن المسيح».

(٢٨) أ، ق: «يستقر».

(٢٩) أعمال الرسل ٤: ٢٤ ولفظه فى الترجمة الحديثة: «فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتًا إلى الله، وقالوا أيها السيد أنت هو الإلـه الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها».

(٣٠) ب: «وجميع ما هم فيه موجود بإرادته».

ومحال ركيك، وتناقض قبيح لم يأخذوها عن[٣١] كتب الله ولا عن[٣٢] أنبيائه، وإنما قلدوا فيها دعاوى باطلة، وأهواء كاذبة، مهدها لهم كل كفار أثيم..

ويقال لهم: هذه العقيدة التى لا اختلاف فيها بين جماهيركم إن لم تكونوا نسبتموها لكتاب ولا نبى[٣٣] أخبرونا عنها هل هى حق أو كلها باطل؟ وإن قالوا بعضها حق وبعضها باطل فقد أبطلوا بعضها وكفروا به، لأن الباطل لا يدان به، وإن[٣٤] قالوا كلها حق، فقد اعترفوا فيها[٣٥] بأن المسيح مخلوق مولود، وأن الله تعالى خالقه، وخالق جميع ما يرى وما لا يرى.

ثم قالوا: «إن المسيح إلـه خالق لكل[٣٦] شىء» وما ظهر[٣٧] فيه هذا التناقض الشنيع لا يكون حقًّا أبدًا.

وقولهم فى المسيح: «إلـه من جوهر أبيه، وإلـه مثله يقتضى المماثلة ولابد، فما[٣٨] الذى صير أحدهما أبًا والآخر ابنًا، وما الذى خص[٣٩] هذا بالأبوة وهذا بالبنوة، دون تعاكس؟!! نسأل الله ربنا كمال العفو والعافية من حالهم ومآلهم آمين.

---

(٣١) ط: «من».
(٣٢) ط: «من أنبيائهم».
(٣٣) ب: «ولا لنبى».
(٣٤) ب، ق: «فإن».
(٣٥) «فيها» سقط أ، ط: «فيها بالمسيح».
(٣٦) أ، ق: «كل».
(٣٧) ب: «ومن ظهر» ط: «فما».
(٣٨) ط: «وما».
(٣٩) ط، ق: «خصص».

الباب الخامس

فى بيان أن عيسى ليس بإله وإنما هو بشر آدمي مخلوق ونبى مرسل عليه الصلاة والسلام

اعلموا - رحمكم الله - أن كل ما ذكرنا من عقيدة النصارى وكفرهم[1] فى قولهم إن المسيح هو الله وابن الله، وأنه خالق المخلوقات، يرده ويبطله ما قالته[2] الأربعة الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، فقال متى[3] فى الفصل الأول من إنجيله: «هذه نسبة المسيح هو ابن داود بن إبراهيم».

وهذا إقرار بأن عيسى مولود تناسل من ذرية داود النبى (عليه السلام) من سبط يهودا بن يعقوب بن إسحاق، بن إبراهيم (عليهم السلام) وكل من ثبت تناسله عن الآدميين هو بلا شك آدمى، لأن الله القديم الأزلى لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه حادث.

وقال أيضا متى[4] فى الفصل التاسع[5] عشر من إنجيله: «إن رجلاً قال

(١) «وكفرهم وقولهم».

(٢) أ، ق: «ما قاله».

(٣) انجيل متى الإصحاح الأول عدد (١).

(٤) إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر عدد ١٦ : ١٧ ولفظه فى الترجمة الحديثة: «وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية. فقال له لماذا تدعونى صالحًا. ليس أحد صالحًا إلا واحد، وهو الله».

(٥) أ، ق: «الرابع».

للمسيح يا أيها الخير، فقال عيسى لم[٦] سميتنى خيرًا؟! إن الخير هو الله تعالى».

وهذا غاية التواضع منه (عليه السلام) والتأدب مع ربه وخالقه فكيف يدعى[٧] له شريكا فى الألوهية؟.

وقال يوحنا[٨] فى الفصل السابع عشر من إنجيله: «إن المسيح رفع عينيه إلى السماء وتضرع إلى الله الواحد الخالق، وقال يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الخالق، وأنك أرسلتنى».

فهذا اعتراف[٩] منه بأنه نبى مبعوث من الله تعالى بما أوجبه من توحيده، وأنه سبحانه هو الواحد الخالق، لا خالق للخلق غيره، وبهذا جاء عيسى وجميع الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين).

فإن قال قائل من النصارى: إن كان عيسى قد اعترف فى هذا الموضع بأنه نبى مبعوث، فقد اعترف فى موضع آخر أنه[١٠] الخالق الأزلى، قلنا فى جوابه: إن هذا افتراء عليه، وهو برىء من ذلك، ومن كل من نسبه إليه، وأنتم غفلتم[١١] عن شنيع التناقض الذى بين النصين فى الموضعين، لأنه (عليه السلام) أقر بأنه[١٢] بشر مبعوث من الله تعالى وهو صحيح[١٣] فكيف يجوز عليه مناقضته بادعاء ما هو محال فى حقه من كونه خالقًا

---

(٦) ب، ق: «لأى شىء سميتنى».

(٧) أ: «يدعى أنه شريكه».

(٨) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ١: ٣.

(٩) ط: «اعترافه بأنه».

(١٠) أ: «بأنه».

(١١) ط: «تعاميتم».

(١٢) أ: «أنه».

(١٣) أ، ب: «وهذا هو الصحيح».

أزليًّا؟! بل هذا من اختلاق أوائل كفارهم، ثم قبلته جميع طوائفكم على ما فيه من الكفر الفظيع، والتناقض الشنيع.

وقال متى[١٤] فى الفصل الرابع من إنجيله: «إن الشيطان دعا المسيح إلى أن يسجد له، وأراه ممالك الدنيا وزخرفها، وقال له: اسجد لى، نجعل[١٥] لك هذا كله، فقال المسيح: إنه مكتوب على كل بشر أنه لا يعبد إلا الله تعالى ولا يسجد لشىء سواه».

فهذا منه إقرار بأنه برىء من الألوهية، ولو كان إلـٰها لما اجترأ عليه الشيطان بمثل ذلك القول، وفى جوابه لـه اعتراف لله تعالى بأنـه هو الإلـٰه[١٦]، ولا يسجد أحد إلا له (تبارك وتعالى) وهذا تنزل مع النصارى واحتجاج عليهم بما أظهروه فى أناجيلهم، وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء (عليهم السلام) معصومون من الشيطان فى الوسوسة الباطنة الخفية، فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجود له من دون الله، وهـذه مجاهـرة جلية ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ورعونتهم فى تجويز مثل هذا على المسيح (عليه السلام).

وقال يوحنا[١٧] فى آخر إنجيله: «إن عيسى قال للحواريين، إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلـٰهى وإلـٰهكم» يعنى[١٨] بأبى وأبيكم المالك لى ولكم،

---

(١٤) إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٨: ١٠ ولفظه: «ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًّا، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعًا إن خررت وسجدت لى، حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب الملك تسجد وإياه وحده تعبد».

(١٥) أ: «وأنا أجعل لك». (١٦) أ، ق: «إلـٰه».

(١٧) إنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠ عدد ١٧ ولفظه فى الترجمة الحديثة: «أنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلـٰهكم».

(١٨) أ: «ويعنى بقوله أبى وأبيكم».

وهو اصطلاح أهل[١٩] ذلك الزمان.

فإن قالوا: هو أبوه من هذه[٢٠] اللفظة، قلنا: يلزم منه[٢١] أن يكون أباكم أيضًا لأنه قال أبي وأبيكم، ثم صرح بعده بما ينفى[٢٢] كل شبهة بقوله: «وإلـٰهى وإلـٰهكم» فلم يبق لنفسه فى دعوى الألوهية شيئًا البتة[٢٣].

وقال متى[٢٤] فى الفصل العاشر من إنجيله: «إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين: كل من قبلكم وآواكم، فقد قبلنى وآوانى، ومن قبلنى وآوانى فإنما قبل من أرسلنى».

وقال يوحنا[٢٥] فى الفصل الخامس من إنجيله: «إن المسيح قال إنى ما جئت لأعمل بمشيئتى بل بمشيئة الذى أرسلنى».

وقال مرقس[٢٦] فى آخر إنجيله: «إن عيسى قال وهو على خشبة الصلب - بزعمهم - إلـٰهى إلـٰهى لم خذلتنى» وذلك آخر ما تكلم به فى الدنيا، وحاشاه أن يكون الله خذله، أو تمكن اليهود من صلبه، وإنما

---

(١٩) «أهل» من أ.

(٢٠) ط: «هذا اللفظ».

(٢١) «منه» سقط أ.

(٢٢) ط: «تدفع».

(٢٣) «البتة» سقط أ.

(٢٤) إنجيل متى الإصحاح ١٠ عدد ٤٠.

(٢٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عدد ٣ ولفظه: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا، كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى أرسلنى».

(٢٦) إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ عدد ٣٤ ولفظه: «وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوى الوى لما شبقتنى. الذى تفسيره إلـٰهى إلـٰهى لماذا تركتنى».

احتججنا على النصارى به، لأنهم[٢٧] قد رضوه من نصوص أناجيلهم وهم مصدقون به، وفيه التصريح بأن عيسى قال يا إلـهى يا إلـهى فأقر بأن له إلـها يدعى[٢٨] فى الشدائد: وتبرأ من ادعاء الألوهية لنفسه، فلزم[٢٩] تكذيب عقائد النصارى ضرورة لا محيد لهم عنها، ولكنهم صم بكم عمى فهم لا يعقلون.

وقال لوقا[٣٠] فى آخر إنجيله: «إن المسيح بعد ما قام من قبره دخل على[٣١] الحواريين وهم مجتمعون فى غرفة قد أغلقوا بابها، فلما دخل عليهم ارتاعوا منه وظنوا أنه من أرواح الملائكة أو الجن، فلما علم المسيح ذلك منهم قال يا هؤلاء، جسونى واعلموا أن الأرواح الروحانية ليس لها لحم ولا عظم مثل ما تجدون فى جسدى» فأقر بأنه مركب من لحم وعظم ومادة حيوانية وتبرأ من الإلـهية.

وهذا النص كالذى[٣٢] قبله مما يكذبهم فى كون عيسى قتل ودفن وقام من قبره بعد الدفن، إنما[٣٣] هو من اختلاق أوائل النصارى، ودعاويهم الباطلة العتية[٣٤] فى المحال والكفر والضلال، ولكن أبطلنا حجتهم فى ادعاء[٣٥] أن عيسى هو الله، وابن[٣٦] الله (تعالى الله لا إله إلا هو) فمن

(٢٧) ط: «لأنه رد نصوص أناجيلهم».
(٢٨) ب: «يدعوه».
(٢٩) ب: «فلزم منه تكذيب».
(٣٠) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ عدد ٣٦: ٣٩.
(٣١) ط: «إلى».
(٣٢) أ، ق: «والذى».
(٣٣) أ، ب: «وإنما».
(٣٤) ب، ق: «الفريقة».
(٣٥) ب: «ادعائهم».
(٣٦) أ: «أو ابنه تعالى» ق: «وابنه تعالى».

قال إن المسيح هو مربوب الله[٣٧] تعالى، فكان صبيا ينمو طولاً وعرضًا، ثم بلغ أشد وبعثه الله رسولاً فقد وافق قول المسيح وتلاميذه، ومن خالف هذا فقد خالف الحق واعتقد صريح الكفر، نعوذ بالله من ذلك.

ويلزمهم أشنع ما يكون عند جميع العقلاء، وهو: إن كان المسيح خالقًا أزليًّا كما يعتقدون مع كونه لحمًا ودمًا فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزليًّا[٣٨] خالقا، وبعضه محدثًا مخلوقًا، لأن المسيح أقر أنه دم ولحم، بنص أناجيلهم، واللحم والدم يتولدان[٣٩] من الأغذية والأشربة، وهى من أجزاء الدنيا، فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها، هو جزء من أجزائها، وذلك[٤٠] الجزء هو خالق لنفسه أيضا لأنه جزء من أجزاء[٤١] الدنيا التى هى مخلوقة له.

وهذا أشنع ما يكون من دعاوى البهتان، وأبعد ما يتصور فى معقولية الإنسان، فمن اعتقده ودان به فقد لزمه ما بيناه واستحق الغضب والسخط[٤٢] من الله، واتضح أنه من أهل الخذلان.

ويلزم[٤٣] أيضًا من شناعة المحال أن يكون بعض الدنيا[٤٤] وهو خالق الجميع، وبعض الشىء لا يوجد إلا بعد وجوده كله[٤٥]، وما ليس بموجود

---

(٣٧) ق: «لله».
(٣٨) الأزلى: هو الذى لا أول له، والمحدث: هو الذى وجد بعد أن لم يكن.
(٣٩) ط، ق: «يتوالدان».
(٤٠) أ: «ويكون هو خالق نفسه».
(٤١) «أجزاء» من ب.
(٤٢) «والسخط» من ب، ق.
(٤٣) ب: «ويلزمهم».
(٤٤) ب: «الدنيا خالق جميع الدنيا».
(٤٥) ب، ق «بعضه بل كله».

ولا معقول فليس بشيء، فخالق الدنيا على قولهم معدوم غير موجود، مجهول[٤٦] غير معقول، وأنا أظن أن صاحب هذه العقيدة التى مهدها لهم قصد هذا التعطيل بعينه، لأنه كان من متزندقة أهل التعطيل، فسخر من النصارى وألف لهم أنواعًا من الكفر والضلال مبنية على أشنع المحال، لما تحقق من غفلتهم وقبولهم لترهات[٤٧] المذاهب والأقوال.

ويقال لهم: قد نطق الإنجيل الأول بأن المسيح قلم أظفاره وقص شعره، ونما جسده طولاً وعرضًا، فإن كان على قولهم خالقًا أزليًّا، وقد بانت[٤٨] منه هذه الأجزاء من الشعر والأظفار، وانفصلت عن كله وصارت رميمًا وتلاشت حتى لم يبق لها وجود، فالخالق الأزلى على هذا قد فسد بعضه وتلاشى، وبقى بعضه على حاله ومن فسد بعضه فالفساد واصل إلى كله، ومن كان له بعض وكل فهو محدود محتاج إلى ما يحله[٤٩] ويحدّه، ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغنى، والإلـه الخالق الأزلى تبارك وتعالى شهدت براهين العقول ونصوص المنقول بأنه لا يكون جسمًا ولا جوهرًا ولا عرضًا، وليس له كل يتجزأ ولا تتبعض ذاته القديمة[٥٠] ولا يلحقها نقص ولا تغيير[٥١] ولا تحويل، وأنه الغنى على الإطلاق، وجميع الخلق إليه فقراء فى جميع أطوارهم، وكافة أحوالهم، وهو كما وصف نفسه الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥٢].

ويقال لهم أيضا: هذا[٥٣] المسيح الذى تعتقدون أنه الخالق الأزلى هل

---

(٤٦) أ، ق: «ومجهول».

(٤٧) الترهات: الأباطيل.

(٤٨) أي: انفصلت.

(٤٩) أ، ق: «ما يحمله».

(٥٠) ط: «القديم».

(٥١) ب: «تغير ولا تحول».

(٥٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٥٣) ب: «وهذا».

كان فى بلد وزمان أم لا ؟ ولا يقدرون على إنكار ذلك، لأن أناجيل[٥٤] متى ولوقا صرحوا بأنه ولد فى بيت[٥٥] لحم الذى كان ينتسب إلى يودا[٥٦] فى زمن هرودس[٥٧] (الملك)، وأنه قتل وصلب فى أيام بيلاطوس[٥٨] الملك وكل من كان فى زمان، وفى مكان فلابد بأن يكون قبله[٥٩]، والأمكنة محيطة به، ومن كان كذلك فهو مخلوق، وإذا ثبت أنه مخلوق بطلت عقيدتهم التى فيها أنه إلـه حق، وأنه خلق كل شىء.

ومعلوم بالقطع أن الزمان من الأشياء المخلوقة، والزمان كان قبل أن يوجد المسيح بلا شك فى ذلك ولا امتراء. فكيف يجوز أن يكون الزمان موجودا[٦٠] قبل خالقه. ويكون المكان محيطًا بالذى خلق الأماكن ؟

---

(٥٤) راجع إنجيل متى الإصحاح٢ عدد١، والإصحاح٢٧ عدد١ وراجع أيضًا إنجيل لوقا الإصحاح ٢ عدد١٥، والاصحاح ٢٣.

(٥٥) بيت لحم: بلدة (٦٨١٨ نسمة) بجنوب وسط فلسطين جنوبى بيت المقدس قيل إنها مسقط رأس السيد المسيح، وتعرف فى الكتاب المقدس باسم (بيت داود) أحيانا يعتمد سكانها وأكثرهم مسيحيون على الحجاج فى موارد دخلهم، بنى بها الإمبراطور قسطنطين (٣٣٠) كنيسة فى الموضع الذى تذكر الروايات أنه شهد ميلاد المسيح، اسمها القديم (إفرات) من أهم آثارها مغارة اللبن، ومقبرة راشل وعيون سليمان. (الموسوعة العربية ٤٥٤).

(٥٦) أ: «الودا».

(٥٧) رودس : فى الترجمة الحديثة «هيرودس».

(٥٨) بيلاطس: هو والٍ أقامته الحكومة الرومانية حاكمًا على اليهودية فى سنة ٢٩م واستمر حكمه بضع سنين إلى ما بعد صعود المسيح (عليه السلام) كان قاسيًا فى حكمه لا يهتم إلا بمنافعه الشخصية، وفى عهده حاول اليهود قتل المسيح (عليه السلام) ولكن الله نجاه منهم، ورفعه إليه، وقد أقيل بيلاطس من منصبه لقسوته وظلمه ونفى إلى فرنسا ومات هناك، ويقول بعضهم إنه مات منتحرا.

(راجع قاموس الكتاب المقدس ٢٠٧-٢٠٨).

(٥٩) الضمير يعود على المكان.

(٦٠) ب، ق: «وجد».

هذا[٦١] أشنع ما يتخيل فى الأذهان، ومن أقبح ما يكون فى[٦٢] المحال والبهتان، فكل من وُلِد فى زمان، وأحاط به المكان[٦٣] فهو حيوان ابن[٦٤] حيوان، والمسيح كان من أشرف أنواع الحيوان، لأنه إنسان من[٦٥] إنسان تعالى الله عما يقول الكافرون علوًّا كبيرًا.

وفى كل ما أوضحته هنا بحول الله وقوته يقتضى فساد شريعة النصارى، وإبطال عقيدتهم، وبيان لعدولى فيما اخترته لنفسى من دين الحق المبين، واتباع ملة أفضل النبيين (صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين) ومن الله نسأل كمال البر والتوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل. .

---

(٦١) أ: «هذا من أشنع».
(٦٢) ط: «من».
(٦٣) ب: «مكان».
(٦٤) ب، ق «من».
(٦٥) ط: «ابن».

الباب السادس

فى اختلاف الأربعة
الذين كتبوا الأناجيل الأربعة وبيان كذبهم

اعلموا - رحمكم الله - أن الأربعة الذين كتبوا الأناجيل اختلفوا فى أشياء كثيرة، وذلك دليل على كذبهم، فلو[1] كانوا على الحق ما اختلفوا فى شيء. قال الله تعالى فى كتابه[2] العزيز الذى أنزل على صفيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيه اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ فجعل الاختلاف دليلاً على الكذب على الله، لأن كل ما هو من عنده تعالى لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه، وكل ما كذب الكاذبون عليه[3] لابد أن يفضحهم بوجود[4] الاختلاف والاضطراب فيما كذبوه ليميز الله الخبيث من الطيب، وهو الحكيم العليم.

فمن نصوص كذب هؤلاء الذين كتبوا الأناجيل ما قاله[5] يوحنا[6] فى الفصل الثالث عشر من إنجيله: «إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين

---

(١) ط: «ولو».
(٢) سورة النساء: بعض آية ٨٢.
(٣) الضمير يعود على الله سبحانه.
(٤) ط: «لوجود».
(٥) ط: «ما قال».
(٦) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ عدد ٢١: ٢٦.

وهو يتعشى معهم فى الليلة التى أخذه[٧] فيها اليهود، الحق أقوله لكم إن واحدًا منكم يخوننى، فقال له يوحنا يا سيدى من يكون ذلك. قال له عيسى الذى نعطيه الخبز مصبغا فى المرق، ثم أعطاه ليهوذا[٨] إسكريوط[٩]، وهو الذى خانه ودل اليهود عليه.

وقال مرقس[١٠] فى الفصل الرابع عشر من إنجيله: «إن عيسى قال لهم إن الذى يصبغ خبزه معى فى القصعة هو الذى يخوننى».

وقال متى[١١] فى الفصل السادس والعشرين من إنجيله: «إن عيسى قال لهم: «إن الذى يصبغ خبزه فى صحفتى هو الذى يخوننى».

وقال لوقا[١٢] فى الفصل الثانى والعشرين من إنجيله: «إن عيسى قال إن الذى يخوننى هو معى فى تلاميذى»[١٣].

وهذا[١٤] الاختلاف بيّن، لأن عيسى لم يتكرر منه هذا القول فى مجالس حتى يزعمون أنه اختلفت عبارته فيها، وليس معنى قولهم متحدًا، فيكون كل واحد من الأربعة عبّر عن قوله بعبارة من عنده.

وتخصيصه ليهوذا إسخريوط[١٥] بمناولته له الخبز مصبغًا فى المرقة

---

(٧) ط: «أخذته».

(٨) فى إنجيل يوحنا (٢١ : ٢٥) يهوذا.

(٩) ط: «أسقريوط» وفى إنجيل يوحنا «الإسخريوطى».

(١٠) إنجيل مرقس الاصحاح ١٤ عدد ١٧، ٢٠.

(١١) إنجيل متى الاصحاح ٢٦ عدد ٢٣.

(١٢) إنجيل لوقا الاصحاح ٢٢ عدد ٢١ ولفظه: «ولكن هوذا الذى يسلمنى هو معى على المائدة».

(١٣) ط: «التلاميذ».

(١٤) ط: «وهو اختلاف بين».

(١٥) فى المخطوطة: «اسقريوط».

يقتضى تعيينه[١٦] وكشف آمره، وبقية ما نقلوه يدل على أنهم ما علموا[١٧] شـأنه، وهـذا تناقض دل عـلى الكذب من جميـع الأربعة الـذين كتبوا الأناجيل، وبالله التوفيق.

ومن ذلك ما قال متى[١٨] فى الفصل العشرين من إنجيله: «إن عيسى لما خرج من بلد جريكو[١٩] «أريحا»[٢٠] ناداه مكفوفان اثنان، وقالا له يا ابن داود ارحمنا، وأنه فتح أعينهما هنالك، فصارا[٢١] مبصرين».

ومن ذلك ما قال مرقس[٢٢] فى الفصل العاشر من إنجيله: «إنه لما خرج عيسى من البلد المذكور ناداه مكفوف واحد، وقال يا عيسى ارحمنى ففتح عينه».

ومعلوم من الإنجيل أن عيسى لم يمر بتلك البلدة إلا مرة واحدة، فقد كذب متى فى كونهما مكفوفين اثنين، وكذب مرقس فى كونه مكفوفًا واحدًا، لأن القصة واحدة، وفى إقرارهما بأن المكفوف نادى عيسى وقال له يا ابن داود نسبة إلى نسل[٢٣] البشر من الناس ما يكذب عقـائدهم فيـه فإن المكفوف ما قال له يا إله، أو يا ولد الله، أو يـا خالق المخلوقـات، كما

---

(١٦) ب: «تعينه».

(١٧) أ، ق: «علموا».

(١٨) إنجيل متى الإصحاح ٢٠ عدد ٢٩: ٣٤.

(١٩) أ: «جنارز» ب: «جناور».

(٢٠) أريحا: مدينة (٢,٥٠٠) نسمة بالمملكة الأردنية ش شرقى القدس من أقدم مدن العالم تنخفض ح ٢٦٠م عن سطح البحر، بها آثار رومانية وعربية، أهمها بقايا قصر هشام. استولى عليها الإنجليز ٢١ فبراير سنة ١٩١٨ فى أثناء الحرب العالمية، وأعلن الأردن ضمها عقب حرب فلسطين. (الموسوعة العربية ١٧٢).

(٢١) «فصارا مبصرين» من أ.

(٢٢) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ عدد ٤٦: ٥٢.

(٢٣) ق: «نسب».

زعموا فيه، وإنما قال له: يا ابن داود، فنسبه إلى نبى من الأنبياء الكرام ليشير إلى أن نسب أمه مريم من هذا العنصر الطاهر، وهو كذلك، لأن مريم من ذرية داود بن إيشا[٢٤] من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام).

ومن ذلك ما قاله متى[٢٥] فى الفصل السابع والعشرين من إنجيله: «أن عيسى المسيح صلب معه لصان فكانا يشتمانه فى حالة الصلب».

وقال لوقا[٢٦] فى الفصل الثالث والعشرين من إنجيله إن أحد اللصين هو الذى استهزأ بعيسى، وقال له: إن كنت المسيح حقا فخلص نفسك وخلصنا، فزجره اللص الآخر، وقال له[٢٧]: أما تخاف الله؟ وتعلم[٢٨] أن الذى أصابه قد أصابك مثله، وأنت وأنا نستحق ما فعل بنا، وهو لا يستحق شيئاً، ثم قال للمسيح يا سيدى اذكرنى فى يوم مجيئك من ملكوتك، فقال له المسيح أقول لك الحق أنك تكون معى ذلك اليوم فى جنة الفردوس».

وهذا اختلاف[٢٩] بين، لأن متى أوجب على اللصين النار، لأنهما شتما المسيح، ولوقا أوجب لأحدهما الجنة، وقد كذبا[٣٠] فى أصل قضية صلب المسيح وكفروا بذلك، ويوحنا[٣١] الذى حضر صلب المصلوبين قال فى إنجيله فصل تاسع عشر: «إن سارقين صلبا معه أحدهما عن يمينه والآخر

---

(٢٤) أ، ب: «ايشار».
(٢٥) إنجيل متى الإصحاح ٢٧ عدد ٣٩: ٤٤.
(٢٦) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ عدد ٣٩:٤٣.
(٢٧) «له» سقط أ.
(٢٨) فى ط: «وما تعلم».
(٢٩) ط: «الخلاف».
(٣٠) أ،ب، ط: «كذب».
(٣١) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٩ عدد ١٨.

عن يساره، ولم يذكر أنهما قالا له شيئًا البتة، وهذا تمام الاختلاف والاختلال[٣٢].

ومن ذلك أن متى[٣٣] قال فى الفصل الحادى والعشرين من إنجيله: «إن المسيح ركب دابة وهو سائر لبيت المقدس مثل ما قاله فيه بعض الأنبياء ترون سلطانكم جاءكم على دابة».

وقال مرقس[٣٤] فى الفصل الحادى عشر من إنجيله: «إن المسيح كان راكبًا على جُحَيْش[٣٥] ابن الدابة» ولم يذكر أنه ركب الدابة أصلًا.

وقال لوقا[٣٦] فى الفصل التاسع عشر من إنجيله: إنه كان راكبًا على الدابة» مثل ما قال متى[٣٧].

---

(٣٢) ط: «والإضلال».

(٣٣) إنجيل متى الإصحاح ٣١ عدد ١: ٥ ولفظه: «ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى عند جبل زيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما: اذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتيانى بهما وإن قال لكما أحد شيئًا فقولا الرب محتاج إليهما. فللوقت يرسلهما فكان هذا كله لكى يتم، ما قيل بالنبى القائل. قولوا لابنة صهيون هوذا ملك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وجحش ابن أتان» والأتان: الأنثى من الحمير، ولا أدرى كيف يستطيع شخص أن يركب أتانا وجحشا ويسير بهما؟..

(٣٤) إنجيل مرقس الإصحاح ١١ عدد ١: ٧ ولفظه: «ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجى وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشًا مربوطًا لم يجلس عليه أحد من الناس، فحلاه وأتيا به، وإن قال لكما أحد لماذا تفعلان هذا فقولا الرب محتاج إليه. فللوقت يرسله إلى هنا. فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب خارجا على الطريق فحلاه. فقال لهما قوم من القيام هناك ماذا تفعلان تحلان الجحش. فقالا لهم كما أوصى يسوع. فتركوهما. فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه».

(٣٥) ط: «جحش ابن دابة».

(٣٦) إنجيل لوقا الإصحاح ١٩ عدد ٣٠: ٣٦.

(٣٧) ط: «ماركوس».

وقال يوحنا[٣٨] فى الفصل الثانى عشر من إنجيله: «إنه كان راكبًا على جحيش[٣٩] ابن الدابة» مثل ما قال مرقس.

فانظروا - رحمكم الله - إلى اختلافهم البارد، وكذبهم الظاهر فى قولهم إنه ركب الجحيش، وصغّره لصغر سنه، وإذا[٤٠] كان كذلك كيف يركبه الإنسان؟؟

ومن ذلك - أيضًا - ما قال متى[٤١] فى الفصل العشرين من إنجيله: «إن مريم زوجة زَبْداى جاءت إلى المسيح، وقالت له إن ولدىّ الاثنين يجلسان غدًا معك فى ملكوتك، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك».

وقال مرقس[٤٢] فى الفصل العاشر من إنجيله: «إن ولدى خالة عيسى وهى مريم امرأة زَبْداى قالا له يا معلم نحب منك أن تنعم علينا بما نطلبك فيه، فقال المسيح أى شىء تريدان، قالا له أنعم علينا بأن يجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك فى ملكوتك».

وأما لوقا ويوحنا فما ذكرا فى إنجيلهما شيئًا من هذه القصة عن الولدين

---

(٣٨) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٢ عدد ١٤: ١٥ ولفظه: «ووجد يسوع جحشًا فجلس عليه كما هو مكتوب لاتخافى يا ابنة صهيون. هوذا ملكك يأتى جالسًا على جحش أتان».

(٣٩) ط: «الجحش ابن دابة».

(٤٠) أ، ق: «وما كان كذلك كيف».

(٤١) إنجيل متى الاصحاح ٢٠ عدد ٢٠: ٢١ ولفظه: «حينئذ تقدمت إليه أم ابنى زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئا. فقال لها ماذا تريدين. قالت له قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك».

(٤٢) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ عدد ٣٥: ٣٧ ولفظه: « وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا. فقال لهما ماذا تريدان ان أفعل لكما. فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك».

ولا عن[٤٣] أمهما مع أن يوحنا كان ملازمًا للمسيح، ولم يفارقه حتى رفع (عليه السلام) وهذا من الاختلاف الركيك، فإن متى قال الأم طلبت ذلك، ومرقس قال الولدان هما اللذان طلبا، وصاحباه الآخران خالفاهما بعدم ذكر هذه القصة أصلاً.

ومن اختلافهم - أيضا - ما قاله متى[٤٤] فى الفصل التاسع من إنجيله أن تلاميذ يوحنا[٤٥] قالوا للمسيح لأى شىء نصوم نحن ويصوم الفريزيون وتلاميذك لا يصومون؟

وقال مرقس[٤٦] فى الفصل الثانى من إنجيله: «إن طائفة الكتّاب والفريزيين قالوا للمسيح لأى شىء يصوم تلاميذ يوحنا[٤٧] وتلاميذك يأكلون ويشربون ولا يصومون».

هذا اختلاف ظاهر، لأن النص الأول فيه الفريزيون يصومون وأن السائلين والصائمين هم تلاميذ يوحنا، والنص الثانى فيه أن طائفة الكتاب والفريزيين هم السائلون بزيادة يحيى بن زكريا، والكتاب معهم، ولم يذكروا أنفسهم فى صيام ولا إفطار.

---

(٤٣) ب: «من».

(٤٤) إنجيل متى الإصحاح ٩ عدد ١٤ ولفظه: «حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيرًا وأما تلاميذك لا يصومون».

(٤٥) ط: «يحيى».

(٤٦) إنجيل مرقس الإصحاح ٢ عدد ١١ ولفظه: «وكان تلاميذ يوحنا والفريسيين يصومون. فجاءوا. وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون».

(٤٧) ط: «يحيى».

ومن ذلك ما قال متى[٤٨] فى فصل ثالث من إنجيله: «أن يوحنا[٤٩] يأكل الجراد والعسل فخالف قوله فى الفصل[٥٠] الحادى عشر من إنجيله أن عيسى (عليه السلام) قال لليهود جاءكم يوحنا[٥١] لا يأكل ولا يشرب فقلتم إنه مجنون، وجاءكم[٥٢] ابن فيليوس - معناه ابن الإنسان يعنى نفسه - يأكل ويشرب فقلتم إنسان كبير الجوف يأكل ويشرب الخمر».

وهذا اختلاف ظاهر فى كلام مَتَّى، لأنه نفى عن يوحنا الأكل والشرب فى أحد نصيه وأثبت لـه أكل الجـراد والعسل فى النص الآخـر، وغفل النصارى عن صريح الحجة عليهم فى قول المسيح عن نفسه أنه ابن إنسان وأنه يأكل ويشرب الماء والخمر، وهذا إقرار منه بأنه إنسان ابن إنسان محتاج إلى مدد لغذاء، وقوام بنية جسده بالطعام والشراب، وهذا يكذب دعواهم فيه أنه إله وابن إله، فتعالى الله رب العالمين، علوًّا كبيـرًا عن كفرهم.

ومن اختلافهم، وصريح كذبهم على الله ورسوله ما قال يوحنا[٥٣] فى الفصل الخامس من إنجيله: «إن المسيح قال لليهود: إن أبى الذى أرسلنى هو يشهد لى، ولا سمع قط أحد صـوته ولا رآه»[٥٤] وهـذا قريب إلى

---

(٤٨) إنجيل متى الإصحاح ٣ عدد ٤ ولفظه: «ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد، وكان طعامه جرادًا وعسلاً بريًّا».

(٤٩) ط: «يحيى».

(٥٠) إنجيل متى الإصحاح ١١ عدد ١٨ ولفظه: «لأنـه جاء يـوحنا لا يـأكل ولا يشرب».

(٥١) ط: «يحيى».

(٥٢) ط: «وجاء».

(٥٣) ط: «يحيى».

(٥٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عـدد٣٧ ولفظه: «والأب نفسـه الذى أرسلنى يشهد لى، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته».

الصحة من قول المسيح، ثم خالفه متى فى اللفظ والمعنى بالكفر الصريح، وقال فى الفصل السابع[٥٥] عشر من إنجيله: «إن المسيح طلع على جبل طابور ومعه بترو[٥٦] وحافصو ويوحنا الحواريون، فلما استقروا فوق الجبل إذ بوجه[٥٧] المسيح يضىء كأنه قمر أو شمس فما قدروا ينظرون إليه وسمعوا صوت الآب من السماء يقول هذا ولدى الذى اصطفيته لنفسى اسمعوا منه وآمنوا به» وهكذا قال مرقس[٥٨] فى الفصل التاسع من إنجيله.

وقال يوحنا[٥٩] فى الفصل الرابع عشر من إنجيله: «إن المسيح قال للحواريين أنتم رأيتم أبى وعرفتموه، فقال له فليبو الحوارى يا سيدى كيف رأينا الآب فقال له المسيح: يا فليبو[٦٠] لى معكم كثير وعرفتمونى يا فليبو من رآنى فقد رأى أبى».

وهذا من الاختلاف الظاهر، والكفر الفاحش، أما الاختلاف فبين ما قاله يوحنا عن المسيح إن الذى أرسله يشهد له بصحة نبوته ورسالته، ولا سمع أحد صوته ولا رآه، وبين ما قال يوحنا المذكور إن المسيح قال للحواريين أنتم رأيتم أبى وعرفتموه، فمن رآنى فقد رأى أبى، وكذلك قصة جبل طابور، وأن الثلاثة الذين كانوا مع عيسى سمعوا كلام الآب يعنى رب العباد، تبارك وتعالى عن قولهم، وأنه قال لهم عن المسيح، هذا ولدى الذى اصطفيته لنفسى، وحاشا لله أن يسمع مخلوقاته كلامه (تقدس عن

(٥٥) إنجيل متى الإصحاح ١٧ عدد ١ : ٥.

(٥٦) فى إنجيل متى: «بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه».

(٥٧) أ، ب، ق: «وجه».

(٥٨) إنجيل مرقس الإصحاح ٩ عدد ٢ : ٧.

(٥٩) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ عدد ٧ : ٩.

(٦٠) فى الترجمة الحديثة: «فيلبس».

الصاحبة والولد) فكيف يشهد[٦١] لعيسى أنه ولد الله، بل هذا من بهتانهم وجرأتهم على الله فى الكذب عليه وعلى رسوله عيسى، ومقصودهم بجمع هذه الأكاذيب ترويج عقائدهم فى ألوهية المسيح، وكونه ولد الله (تعالى الله عن ذلك) ثم أوقعهم الله بعظيم قدرته وباهر حكمته فى التناقض وتخاذل النقل، وتدافع اللفظ والمعنى من[٦٢] حيث يشعرون أو لا يشعرون.

---

(٦١) أ: «يشهدون».
(٦٢) «من» من أ.

الباب السابع

فيما نسبوا إلى عيسى من الكذب
وأن عيسى قد برأه[1] الله من جميع أقوالهم واعتقادهم

فمن ذلك ما قاله[2] لوقا[3] فى الفصل الثانى والعشرين من إنجيله: «إن عيسى قال للحواريين إن الشيطان أراد فساد يقينكم، ثم قال لبترو منهم أنا أرغب من أبى ألا يجعل للشيطان سبيلاً على فساد يقينك ثم إن بترو هذا كفر بعيسى وارتد عن دينه بعد أيام قليلة من إخبار عيسى له بأن الشيطان لا سبيل له على فساد[4] يقينه، وأن تلاميذ عيسى لم يكفر أحد منهم إلا بترو[5] هذا».

فانظروا - رحمكم الله - إلى تناقض هؤلاء المخاذيل فيما ينقلونه عن رجل اعتقدوا أنه نبى معصوم، ومع ذلك أنه[6] إله وابن إله، فكيف يخبر عن شخص واحد من تلاميذه أنه سأل الله له أن لا يجعل للشيطان سبيلاً على فساد يقينه، ثم يقولون إن التلميذ الذى خصه بهذا الدعاء هو الذى كفر وارتد وأفسد الشيطان دينه ويقينه من دون جميع التلاميذ، وهل يكاد

---

(١) ط: «تبرأ».
(٢) ط: «ما قال».
(٣) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ عدد ٣١ : ٣٤.
(٤) أ: «أفساد».
(٥) فى إنجيل يوحنا «بطرس».
(٦) ط: «هو».

أحد يجهل هذا التناقض مع الكفر فى تجويز الكذب على الأنبياء، ووقوع الخلف فى أخبارهم، وهذا كله من صريح أكاذيبهم على عيسى (عليه السلام) والله[٧] ما قال شيئًا من هذه الأضاليل. فنعوذ بالله من الخذلان.

ومن ذلك ما قاله[٨] يوحنا[٩] فى الفصل الخامس من إنجيله: «إن المسيح قال لليهود حقًّا أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل أو يصنع إلا ما رأى أباه يصنع».

ومن المعلوم بالقطع أن المسيح أكل وشرب[١٠]، وما رأى أباه يصنع شيئًا من ذلك، لأنه قدوس صمد لا إله إلا هو، وعيسى لم يقل من هذا شيئًا، ولكن كذب عليه اللعين يوحنا وحده، فإن أصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئًا منه البتة ومن ذلك أيضًا ما قاله يوحنا فى الفصل السابع عشر من إنجيله[١١]: «إن عيسى (عليه السلام) تضرع إلى الله قبل موته وقال يا إلهى أنا أعلم أنك دائمًا تستجيب لى، فأسألك أن تنجى تلاميذى من كل شىء فى الدنيا والآخرة، ومعلوم بتواتر النقل عن جميع علماء النصارى. أن تلاميذ عيسى أكثرهم مات مقتولاً بالسيف، ثم صلب بعضهم وسلخ جلد[١٢] بعضهم، وعذب بأنواع العذاب، وحاشا لله أن يسأل الله تعالى رسوله عيسى أن ينجى تلاميذه من كل شىء فى الدنيا ثم تنالهم هذه المثلات[١٣] وقبائح الموتات، فيوحنا هو الذى كذب على المسيح،

---

(٧) ق: «ووالله». (٨) ط: «ما قال».

(٩) إنجيل يوحنا الإصحاح ٥ عدد ١٩ ولفظه: «الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الأب يعمل».

(١٠) لعله يشير إلى ما ورد فى إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ١١.

(١١) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ٩: ١٥.

(١٢) «جلد» من أ.

(١٣) المثلات: جمع مثلة، وهى العقوبة.

وأصحابه[١٤] الثلاثة لم يقولوا شيئًا منه البتة.

ومن ذلك ما قال يوحنا[١٥] فى الفصل الخامس عشر من إنجيله: «إن عيسى (عليه السلام) قال لولا أنى أتيت من المعجزات بما لم يؤت به أحد من الأنبياء قبلى، ما كانت لهم ذنوب بقلة إيمانهم بى - يعنى اليهود[١٦] - وحاشا عيسى أن يقول هذا، فإنه يعلم بالضرورة أن موسى (عليه السلام) أتى بمعجزات كثيرة عظيمة، وكذلك إلياس واليسع (عليهما السلام) كانا قبل عيسى وكلاهما أحيا الموتى كعيسى[١٧]، واليسع أبرأ الأبرص كما أبرأ عيسى (عليه السلام) فكيف يزعمون أن عيسى قال أوتيت من المعجزات ما لم يأت به أحد من قبلى، بل كذب يوحنا فى هذا، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا شيئًا من ذلك.

وقال مرقس[١٨] فى الفصل العاشر من إنجيله: «إن المسيح قال من ترك لوجهى دارًا أو جنانا أو غير ذلك، فإنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة فى الدنيا وفى الآخرة وله الجنة».

وقال متى[١٩] فى الفصل التاسع عشر من إنجيله: «إنه يأخذ قدر ما ترك مائة مرة وله الجنة» ولم يذكر الدنيا.

وقال لوقا[٢٠] فى الفصل الثامن عشر من إنجيله: «إنه يأخذ أزيد

---

(١٤) ب: «وأما أصحابه».

(١٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٥ عدد ٢٤ ولفظه: «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالًا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية».

(١٦) «يعنى اليهود» من أ.

(١٧) «كعيسى» من ب.

(١٨) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ عدد ٢٩، ٣٠.

(١٩) إنجيل مَتّى الإصحاح ١٩ عدد ٢٩.

(٢٠) إنجيل لوقا الإصحاح ١٨ عدد ٢٨: ٣٠.

مما ترك ولم يذكر الجنة ولا الدنيا، وأما يوحنا فما ذكر شيئًا من هذا، وهذا كذب ظاهر على عيسى، فإن خلقًا كثيرًا تركوا ديارًا وجنانًا ومتجرًا وغير ذلك على يد عيسى، ولا أخذوا منه قدر ما تركوا مائة[٢١] مرة في الدنيا ولا قريبًا من ذلك، فعيسى لم يقل هذا، ولكن كذبوا عليه.

ومن ذلك – أيضًا – ما قال متى[٢٢] فى الفصل التاسع عشر من إنجيله: «إن الفريزيين قالوا للمسيح، هل يحل للإنسان أن يطلق امرأته على أقل مسألة، فقال لهم أما قرأتم فى التوراة أن الذى خلق الذكر والأنثى قال من أجل المرأة يترك الإنسان أباه وأمه ويجتمع بزوجته، ويكونـان لحمًا[٢٣] واحدًا».

وهذا كذب على عيسى، وعلى التوراة، فإن هذا الكلام ما قاله تبارك وتعالى، ولكن حكته الكتب النبوية عن آدم (عليه السلام) لأنه حين نام خلق الله تعالى زوجه حواء من ضلعه فلما استيقظ ورآها قال من أجل هذه يترك الإنسان أباه وأمه ويكون مع زوجته لحمة واحدة، وحاشا عيسى أن ينسب هذا إلى التوراة والإنجيل[٢٤] وهو كان يحفظ التوراة والإنجيـل فما يقول إلا ما قال الله تعالى فيهما، ولكن كذب عليه متى فى هذا القول وأصحابه الثلاثة لم يقولوه.

ومن ذلك ما قال يوحنا[٢٥] فى الفصل الثالث من إنجيله: «إن عيسى

---

(٢١) «مائة مرة» سقط أ.

(٢٢) إنجيل متى الإصحاح ١٩ عدد ٣: ٥.

(٢٣) فى إنجيل متى: «جسدا».

(٢٤) «والإنجيل» سقط ب.

(٢٥) إنجيل يوحنا الإصحاح ٣ عدد ١٣ ولفظه: «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء».

(عليه السلام) قال ما يصعد إلى السماء إلا ما هبط منها» وهذا باطل وكذب على عيسى (عليه السلام) فإن فى التوراة أن إدريس وإلياس (عليهما السلام) صعدا إلى السماء ولم يكونا هبطا منها بل فى الأرض خلقا وعاشا إلى وقت صعودهما، وفى الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) صعد إلى السماء ولم يكن هبط منها، ونبينا محمد ﷺ قد صعد إلى السماء ليلة معراجه، وما كان هبط منها، فتبين كذب يوحنا فى هذا على عيسى، وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا ذلك.

فإن قال قائل من النصارى: إن عيسى قال هذا وما عنى به إلا الأرواح قيل له: هذا مخالف للتوراة والإنجيل، فإن فيهما أن الأنبياء الذين صعدوا إلى السماء بأجسادهم صعدوا مع أرواحهم مثل ما صعد نبينا محمد ﷺ، فإن قالوا عيسى قال ذلك وعنى به أرواح البشر التى ماتت أجسادهم فعند الموت يصعد الملائكة بها إلى السماء قلنا هذا احتمال يسقط معه الاستدلال، والأصل فى الألفاظ العموم والحقيقة حتى يثبت خلافهما، والكفار لا تصعد أرواحهم إلى السماء، بل تذهب إلى سجين[٢٦]، فبطل ما قالوا وتبين كذبهم على عيسى (عليه السلام).

ومن ذلك ما قال متى[٢٧] فى الفصل الحادى والعشرين من إنجيله؛ «إن عيسى (عليه السلام) أخذه الجوع وهو يمشى إلى الحواريين فرأى شجرة تين قرب محجة الطريق فقصدها ليأكل منها فما وجد فيها ثمرة، فدعى عليها فيبست من ساعتها».

ونقل مرقس[٢٨] فى الفصل الحادى عشر من إنجيله هذا الخبر، وزاد

---

(٢٦) سجين: واد فى جهنم، نعوذ بالله منها (لسان العرب ١٩٤٧/٣).

(٢٧) إنجيل متى الإصحاح ٢١ عدد ١٨.

(٢٨) إنجيل مرقس الإصحاح ١١ عدد ١٢ : ١٣.

فيه أنه لم يكن فصل التين.

فانظروا - رحمكم الله - كيف نسبوا إلى نبى الله عيسى أنه يلتمس التين من[٢٩] أشجار الناس فى غير فصله، وهذا لا يفعله الصبيان والمجانين، ثم قالوا إنه دعا عليها فيبست وليس لها ذنب تستحق به العقوبة[٣٠]، ولا تخلو أن تكون ملكًا لمالك أو مباحة لكل من مر بها، فإن كانت ملكًا لمالك، فإن عيسى على زهده وورعه لا يقدم على الأكل منها بغير إذن مالكها، لأن الشرائع متفقة على منع ذلك، وإن كانت مباحة للناس فلا يدعو عليها باليبس حتى تنقطع منفعة الناس منها، لأنه هو[٣١] وجميع الأنبياء (عليهم السلام) جبلهم الله على منفعة الخلق ومصلحتهم لا على عكس ذلك، فتبين كذب متى ومرقس فيما نسبا إليه من هذه القصة، وبالله التوفيق.

---

(٢٩) أ ، ق : «فى».

(٣٠) ق : «تلك العقوبة».

(٣١) «هو» : سقط ق.

الباب الثامن

فيما يعيبه النصارى على المسلمين
أعزهم الله

فمن ذلك ما قالوا[1] إن الصالحين من المسلمين يتزوجون بخلاف أهل الرهبانية[2] من النصارى، فيقال لهم: إنكم متفقون فى دينكم على أن داود (عليه السلام) كان نبيًا ملكًا، ومنزلة النبى أعلى من مرتبة الولى بالإجماع منا ومنكم، وفى التوراة: أن داود[3] (عليه السلام) تزوج مائة امرأة، وولد له منهن أزيد من خمسين ولدًا ذكورًا وإناثًا، وسليمان (عليه السلام) تزوج ألف امرأة، كما ثبت فى التوراة، وأنتم تعتقدون أن التوراة حق نزل من عند الله، وكذلك جميع الأنبياء (عليهم السلام) تزوجوا وولد لهم الأولاد إلا عيسى ويحيى بن زكريا (عليهما السلام) وفى التوراة: يحل للرجل أن

---

(١) «ما قالوا» من ق.

(٢) الرهبانية: أصلها من الرهبة: الخوف، قال ابن الأثير، كانوا يترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه، ويضع السلسلة فى عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب (لسان العرب ٣ - ١٧٤٩).

(٣) هو نبى الله داود بن يسى بن عوبيد، وورد ذكره فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعًا، أتاه الله النبوة والملك فى بنى إسرائيل وقد ذكرت قصته فى القرآن مرات كثيرة، وقد طالت مدته فى الملك وله مواقف أيام ملكه وقبله (راجع ترجمته فى قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ٣٦١).

يتزوج من النساء ما يقدر عليهن[٤] من نفقتهن، وأنتم يا معشر النصارى لم تأذنوا[٥] فى التزويج بما شرعه الله فى التوراة وفى[٦] الإنجيل، وإنما تمسكتم فى ذلك بقول بولس الذى زعم أوائلكم أنه بمنزلة نبى، وبولس هو الذى أمركم أن لا يتزوج أحد غير امرأة واحدة، فإذا ماتت عوضها بأخرى وأمركم أن يتزوج القسيس امرأة واحدة بكرًا لا ثيبًا فإذا ماتت حرم عليه التزويج[٧]، وقد تبين أن دينكم فى التزويج خالفتم فيه الأنبياء، وخالفتم بولس فى تزويج القسس الأبكار، فحرمتم على جميع القسيسين التزويج، وصار سفهاؤكم وجهالكم يعتمدون فى ذلك على هذا أو[٨] يعيبون على أولياء المسلمين ما يفعلون فى التزويج.

فأما[٩] علماؤكم فيعلمون أن ذلك حلال منصوص فى الكتب السماوية وأهل الإسلام منَّ الله عليهم بالحنيفية السمحة التى لا مشقة عليهم فيها، وقال لهم نبينا محمد ﷺ: «تناكحوا تناسلوا فإنى مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»[١٠] فهم بالتناكح والتناسل مثابون لأجل امتثالهم فى ذلك أمر نبيهم ﷺ.

---

(٤) ط، ق: «عليه».

(٥) أ، ق: «تدينوا».

(٦) أ، ق: «ولا فى الإنجيل».

(٧) ق: «لأبيها».

(٨) ق: «ويعيبون».

(٩) ب: «وأما».

(١٠) رواه عبد الرزاق والبيهقى عن سعيد بن أبى هلال مرسلًا بلفظ: «تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة، قال فى المقاصد جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داود والنسائى والبيهقى وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعًا: «تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» ولأحمد وسعيد بن منصور والطبرانى فى الأوسط والبيهقى وآخرين عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يأمر=

ومما تعيبه[١١] النصارى على أهل الإسلام الاختتـان، فيقال لهم: إن عندكم فى الإنجيل أن عيسى (عليه السلام) كان مختونـًا، ويوم ختـانه عندكم من أكبر الأعياد، فكيف تنكرون على المسلمين ما تعظمونه من أمر نبيكم، ثم إنكم تعتقدون أن إبراهيم (عليه السلام) وجميع الأنبياء كانوا مختونين، وإن الله (تبارك وتعالى) أمرهم بالختان كما هو عندكم فى التوراة، فالعيب عندكم، والإثم عليكم، لأنكم تركتم سنة نبيكم فى الختان، وخالفتم فيه جميع الأنبياء، ثم صرتم تعيبونه، وكل من عاب أفعال الأنبياء فيما شرع الله لهم، فقد كفر بالله وبأنبيائه.

ومما يعيبونه[١٢] - أيضًا - عـلى المسلمين اعتقـادهم أن أهل الجنـة يأكلون ويشربون[١٣]، فيقال لهم: كيف تنكرون ذلك، وقد قال متى[١٤] فى الفصل السادس والعشرين من إنجيله: «إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين وهو يتعشى فى الليلة التى أخذه وقتله فيها اليهود على زعمهم،

= بالباءة وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا، ويقول تزوجوا الولود الودود، فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» وصححه ابن حيان والحاكم. ولابن ماجه عن أبى هريرة رفعـه: «انكحوا فإنى مكاثر بكم» (كشف الخفاء ١/٣٨٠).

(١١) ط: «يعيبونه».

(١٢) راجع هذه الشبهة والرد عليها فى كتاب: «مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان» لأبى عبيدة الخزرجى ص ٣٤٠ الذى حققه الدكتور محمـد شامـه ونشره تحت عنوان: «بين الإسلام والمسيحية».

(١٣) يشير القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجنَّة اليومَ فى شُغُـل فَاكِهُـونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلال عَلى الأرَائك مُتَّكِئونَ. لهم فِيهَا فاكهة وَلَهُمْ مَا يَدعُونَ﴾ (يس ٥٥-٥٧). ويقول أيضًا - ﴿مَثَل الجَنَّة التى وُعد المُتَّقُونَ فيهَا أنهارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْر آسن وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يتغَيَّر طَعْمُهُ وأنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لذَّة للشَّارِبين وأنهارٌ مِنْ عَسَل مُصَفًّى ولَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمرات﴾. (محمد ١٥).

(١٤) إنجيل متى الأصحاح ٢٦ عدد ٢٩

إنى ما بقيت أشرب شرابًا بعد هذا إلا فى الجنة، وهكذا قال مرقس[١٥] فى الفصل الرابع عشر من إنجيله.

وقال لوقا[١٦] فى الفصل الثانى والعشرين من إنجيله: «إن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين أنتم تأكلون وتشربون على طبلتى[١٧] فى الجنة» وعلماء النصارى يعلمون أن آدم (عليه السلام) أكل من الشجرة المنهى عنها فى الجنة هو وامرأته حواء، وكان ذلك سبب هبوطهما إلى الأرض[١٨]، وهذا منصوص فى التوراة والإنجيل، فكيف ينكر جهالهم أن لا يكون فى الجنة الأكل والشرب، وهم معولون[١٩] فى هذا على أن كل من أكل وشرب لابد له من فضلة[٢٠] بول وغائط، والجنة مطهرة من ذلك، وما علموا أن نبينا محمد ﷺ الحكيم الأكبر أخبرنا بأن ما يأكله أهل الجنة ويشربونه يخرج عليهم رشح أى عرق رائحته كرائحة المسك، وأنهم لا يبصقون فيها ولا يتمخطون، ولا يبولون، ولا يتغوطون[٢١]، وأجمعت الكتب والرسل على أن فى الجنة من أنواع الفواكه ولحوم الطير وغيره

---

(١٥) إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ عدد ٢٥.

(١٦) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ عدد ٣٠.

(١٧) ط: «طابلة».

(١٨) راجع سفر التكوين الإصحاح ٣.

(١٩) ط: «مؤولون».

(٢٠) أ، ق: «فضل».

(٢١) قال أبو هريرة (رضى الله عنه) قال رسول الله ﷺ «إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية» متفق عليه.

ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين[٢٢]، وكل من دخلها وحرم من هذه اللذات فيها فهو معذب نكد العيش، نعوذ بالله من اعتقاد ذلك، لأن اعتقاد ذلك يؤدى إلى ما تقوله الملاحدة من أن نعيم الجنة بعد الموت، إنما هو بالأرواح لا بالأجساد، لأنهم ينكرون بعثة الأجساد، والنصارى وإن لم يصرحوا بهذا فقد لزمهم القول بأن الأرواح هى التى تتنعم فى الجنة، وأما الأجساد فلا نعيم لها إلا بالغذاء الذى جعل الله قوامها به، وهذا خلاف المعقول والمنقول.

ومما ينكرونه - أيضًا - على المسلمين، قولهم فى الجنة قصور ويواقيت وغير ذلك، فيقال لهم: إن عندكم فى الكتاب المسمى «بنور القديسين» فى قصة جوان الإنجيلى أنه مر ذات يوم بشابين عليهما ثياب الحرير ومعهما خدام وموكب[٢٣] كبير فذكرهما بالنار، وهدّدهما حتى تركا ما كانا عليه، وتبعا جوان المذكور وتصدقا بمالهما على خدمهما، فلما كان بعد مدة مرّ خدامهما[٢٤] عليهما فى زى عظيم، ومواكب[٢٥] وخدام فحزنا وندما على ما فاتهما من نعيم الدنيا، واشتد ذلك عليهما، ففهم ذلك جوان، وقال لهما ندمتما وحزنتما على ما فاتكما من نعيم الدنيا فقالا: نعم ما وجدنا عن ذلك صبرًا، فقال لهما اذهبا فأتيانى بأحجار[٢٦] من الوادى فأتيا بها فجعلها تحت

---

(٢٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ . عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ . مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ . لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الواقعة ١٢-٢٤).

(٢٣) ط: «ومركب».

(٢٤) ق: «خدامهما».

(٢٥) ق: «وموكب».

(٢٦) ق: «بحجارة».

ثوبه، ثم أخرجها وهى كلها يواقيت نفيسة فقال اذهبا إلى السوق فبيعاها ثم اشتريا بثمنها أكثر مما كان لكما، ولكن لانصيب لكما فى الجنة، فإنكما بعتما نصيبكما منا بهذا العاجل الفانى، فبينما هم فى ذلك إذا بقوم أتوا بميت ورغبوا من جوان المذكور أن يحييه فقال: قم يا هذا الميت بإذن الله تعالى، فقام الميت فقال له جوان أخبر هذين الرجلين عما فاتهما من نعيم الجنة، فقال لهما ذلك الذى كان ميتا قد كانت لكما فى الجنة قصور مبنية بالياقوت على كل لون، طول كل قصر منها كذا وكذا. فلما سمع الشابان هذا تابا وتركا كل شىء واتبعوا جوان على دين عيسى حتى أتاهما اليقين.

وعندكم - أيضًا - فى الكتاب المذكور أن فلان ربان وهو عندكم من الصالحين القديسين الكبار كانت الملائكة تأتيه كل يوم بطعام من الجنة فى أطباق الذهب، وعليها مناديل الحرير، وفوق المناديل نوار مختلفة الألوان، فكيف تنكرون أن لا تكون فى الجنة آلات الذهب وثياب الحرير والطعام، وهذه القصة حجة عليكم سوى ما نقلته الكتب النبوية من ذلك، واتفق على صحته جميع العقلاء الشرعيين، ولكنكم قوم تجهلون، وتجهلون أنكم تجهلون.

وفى الكتاب المذكور أيضًا قصة شنتون[٢٧] أن الملائكة كانت تأتيه كل يوم بما يقوم به من الغذاء بكرة وعشية من طعام أهل الجنة المختلف الألوان، وأنه أتاه يومًا رجل صالح عندهم قديس كبير يعرف بباولس العبد[٢٨] فأتته الملائكة فى ذلك اليوم بأضعاف ما كانت تأتيه كل يوم من طعام الجنة فى أوانى الذهب، وعليها مناديل الحرير، وفى كتبهم من هذا كثير، ولكن تركته خوف التطويل.

---

(٢٧) ط: «سننتون»، أ ، ق: «شنتنون».

(٢٨) «العبد» من أ.

ومما يعيبونه على المسلمين أيضًا تسميتهم بأسماء الأنبياء (عليهم السلام) فيقال لهم: كيف تنكرون علينا ذلك، ونحن قد سَمينا[٢٩] بأسماء الأنبياء تبركًا بهم[٣٠] وهم من جِنس بنى آدم، وكيف لا تنكـرون على أنفسكم وأنتم[٣١] تسمون بأسماء الملائكة كجبريل وميكائيل وعزرائيل، ولا جواب لهم قطعًا عن هذا، وبالله التوفيق.

(٢٩) أ: «تسمينا».
(٣٠) ط، ق: «بذلك».
(٣١) ط: «حيث تسمون».

الباب التاسع

فى ثبوت نبوة سيدنا محمد ﷺ بنص التوراة والإنجيل والزبور وتبشير[1] الأنبياء ببعثته ورسالته وبقاء ملته إلى آخر الدهر صلوات الله عليه وعليهم أجمعين

اعلموا - رحمكم الله - أن ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة فى كل كتاب أنزله الله تعالى، وجميع الأنبياء قد بشروا به. فمن ذلك ما فى الفصل[2] السادس عشر من الكتاب الأول من التوراة، فإن التوراة خمسة[3] كتب جمعت فى سفر واحد، وذلك أن هاجر لما هربت من سارة زوج إبراهيم رأت فى تلك الليلة ملكًا من الملائكة، فقال لها يا هاجر ما تريدين؟ ومن أين أقبلت؟ قالت هربت من سارة، قال ارجعى إليها،

---

(١) راجع عن هذه البشارات: ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢١٩/٢، وابن حزم: الفصل ٨٥٦/١ (ط صبيح) وتفسير المنار ٢٩٥/١، وعبدالوهاب النجار: قصص الأنبياء ٤٧٢، والشهرستانى: الملل والنحل ١٩٣/١ (ط الأنجلو) وسيد سابق: العقائد الإسلامية، وأوفى هذه الكتب كتاب رحمت الله الهندى حيث أورد ثمانى عشرة بشارة فسرها وفصلها فى استقصاء وتتبع (راجع الباب السادس من كتاب إظهار الحق).

(٢) تكوين ١٦: ٦ - ١٢.

(٣) يقصد بالكتب هنا الأسفار، وهى: سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية.

واخضعى لها، فإن الله سيكثر زرعك وذريتك وعن قريب تحملين وتلدين ولدًا اسمه إسماعيل، لأن الله قد سمع خشوعك، ويكـون ولدك أعـين الناس، وتكون يده فوق الجميع ويد الجميـع مبسوطـة إليه بـالخضوع، ويكون أمره فى معظم الدنيا» انتهى نص التوراة.

ومعلوم أن إسماعيل وأولاد صلبه لم يكونوا متصرفين فى معظم الدنيا، وإنما الإشارة بذلك لعظيم ذريته، وهو نبينا محمد ﷺ لأن دينه دين الإسلام علا على أهل الأرض، وأكثر معمورها، وتصرفت أمته فى مشارق الأرض ومغاربها، وهذا أمر تعرفه علماء اليهود وجماهيرهم، ولكنهم يكتمونه عن عوامهم.

ومن ذلك ما فى الفصل الثامن عشر من الكتاب الخامس من التوراة(٤) أن الله تعالى قال لموسى عليه‌السلام: «قل لبنى إسرائيل إنى أقيم لهم آخر الزمان نبيًا مثلك من بنى إخوتهم، ومن لم يستمع كلمتى التى يؤديها عنى أنتقم منه» وهذا النص يدل على أن هذا النبى الذى يقيمه لبنى إسرائيل فى آخر الزمان ليس من نسلهم، ولكنه من بنى إخوتهم، وكل نبى بعث بعد موسى كان من بنى إسرائيل وآخرهم عيسى (عليه السلام) فلم يبق من بنى إخوتهم إلا نبينا محمد ﷺ لأنه من ولد إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحاق بن إبراهيم، وإسحاق جد بنى(٥) إسرائيل، فهذه هى الأخوة التى ذكرت فى التوراة، ولو كانت هذه البشارة لنبى من أنبياء بنى(٦) إسرائيل لم يكن لذكر هذه الأخوة معنى، واليهود أجمعوا على أن جميع الأنبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل بعد موسى لم يكن فيهم مثله، والمراد بالمثلية هنا أن

(٤) تثنية ١٨ :١٨ ولفظه: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم ما أوصيه به».

(٥) «بنى» سقط أ.

(٦) «بنى سقط أ.

يأتى بشرع خاص به تتبعه الأمم بعده، وهذه هى صفة نبينا محمد ﷺ لأنه من إخوتهم العرب بنى إسماعيل وقد جاء بشريعة ناسخة لجميع الشرائع تبعه[٧] عليها الأمم، فهو كموسى من هذه الحيثية، وهو أفضل منه، ومن جميع الأنبياء، بإجماع أمته (صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

ومن ذلك ما فى الفصل الثالث والثلاثين من كتاب الخامس من التوراة[٨]: «أن الرب تعالى جاء من طور سيناء، وطلع إلينا من ساعير، وظهر من جبل فاران» يعنى مكة وأرض الحجاز، فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض فكان الحجاز وتخومه لفاران فتسمى القطر كله باسمه.

ومن ذلك: «جاء الله من طور سيناء - يريد بمجيئه ظهور دينه وتوحيده (تبارك وتعالى) بما أوحى إلى موسى بطور سيناء - وطلع من ساعير - يعنى جبلاً بالشام، به ظهور دين عيسى (عليه السلام) بما أوحاه الله إليه - وظهر من جبل فاران - يريد بما أوحى الله تعالى من دين الإسلام بمكة والحجاز إلى نبينا محمد ﷺ.

وقوله: «إن رايات القديسين معه وعن يمينه» فالقديسون هم الرجال الأولياء الصالحون، والمراد بهم هنا أصحاب نبينا محمد ﷺ لأنهم الذين كانوا معه، وعن يمينه، فلم يفارقوه قط (رضى الله عنهم).

ومن ذلك، ما اتفق عليه الأربعة، الذين كتبوا الأناجيل الأربعة: «أن عيسى (عليه السلام) قال للحواريين حين رفع إلى السماء، إنى أذهب إلى

---

(٧) ط: «تبعته».

(٨) (١) تثنية ٣٣: ٢ ولفظه: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب جميع قديسه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك».

أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم وأبشركم بنبى يأتى من بعدى اسمه «بارقليط» وهذا الاسم الشريف هو باللسان اليونانى، وتفسيره بالعربية «أحمد» كما قال الله تعالى فى كتابه[٩] العزيز: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُول يَأْتِي مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وهو فى الإنجيل باللطينى «براكلتس» وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذى كان سبب إسلامى. كما تقدم ذكره فى أول هذا الكتاب[١٠].

وقال يوحنا[١١] فى الفصل الرابع عشر من إنجيله: «إن عيسى (عليه السلام) قال البارقليط الذى يرسله أبى فى آخر الزمان هو الذى يعلمكم كل شىء» فالبارقليط هو نبينا محمد ﷺ وهو الذى علم الناس كل شىء، بما أوحاه الله إليه من القرآن العظيم، الذى فيه علوم الأولين والآخرين، وما فرط الله فيه من شىء، كما قال[١٢] تعالى (جل ذكره): ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىءٍ﴾ ولم يظهر[١٣] بعد المسيح نبى مرسل بهذه الصفة غير نبينا محمد ﷺ فهو المراد بهذه البشارة الجليلة.

ومن ذلك ما قال يوحنا[١٤] فى الفصل السادس عشر من إنجيله: «إن المسيح قال البارقليط الذى يرسله أبى من بعدى ما يقول من تلقاء نفسه شيئًا، ولكن يناجيكم بالحق كله، ويخبركم بالحوادث والغيوب».

وهذه صفة نبينا محمد ﷺ بالأخبار المتواترة بحيث لا ينكرها إلا مخذول مطرود عن أبواب رحمة الله تعالى. فأما كونه لا ينطق عن الهوى،

---

(٩) سورة الصف: الآية ٦.

(١٠) راجع ص ٩.

(١١) إنجيل يوحنا الأصحاح ١٤ عدد ٢٦ ولفظه فى الترجمة الحديثة: «وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء».

(١٢) سورة الأنعام: بعض آية ٣٨.

(١٣) ط: «ولم يذكر».

(١٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦ عدد ١٣.

ولا يقول إلا بوحى يوحى، فهذا يشهد الله به، ولا خلاف فيه بين أمته، كما قال[١٥] الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُو إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ وأما إخباره بالحوادث والغيوب فباب واسع جمعت فيه كتب، وهو بحر لا يحاط بساحله، وفى كتاب الشفاء[١٦] للسيد الفقيه الإمام حجة الإسلام أبى الفضل عياض ما فيه مقنع واعتبار لأولى الأبصار.

وأما ثبوت نبوته ﷺ من كتب الأنبياء المتقدمين (عليهم السلام) فمن ذلك ما قال داود[١٧] (عليه السلام) فى الزبور فى الفصل الثانى والسبعين: «إنه يملك من البحر إلى البحر، ومن أدنى الأنهار إلى مقطع الأرض، وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا، ويسجد له الملوك، وتدين له بالطاعة والانقياد، ويصلى عليه فى كل وقت، ويبارك فى كل يوم، وتنور أنواره المدينة، ويدوم إلى أبد الأبد، واسمه موجود قبل وجود الشمس».

وهذه كلها صفات نبينا محمد ﷺ والوجود يشهد له، وكل من دفع هذه الصفات عنه فلا يجد فى العالم أحد يستحقها، وإن ادعاها مدع لغيره من الأنبياء كان مجاهرًا بالبهتان.

ثم لا أعلم أحدًا من الأنبياء بعد داود نسب إليه هذه الصفات الجليلة وهو قبل نبينا محمد ﷺ وعلماء اليهود يعلمون أنها صفاته الذاتية، ولكنهم يكتمون[١٨] ذلك لشقاوتهم السابقة فى الأزل.

---

(١٥) سورة النجم: آية ٣.

(١٦) راجع كتاب: الشفاء ٢٤٦/١ للقاضى عياض.

(١٧) راجع المزمور الثانى والسبعون.

(١٨) قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعلمُونَ﴾ (البقرة ١٤٦).

ومن ذلك ما قال النبى أبقوق[١٩] فى الفصل الثالث[٢٠] من كتابه: «فى آخر الزمان يجىء الرب من القبلة، والقدوس[٢١] من جبال فاران» ومجىء الرب تبارك وتعالى مجىء وحيه، والقدوس هو نبينا محمد ﷺ ظهر من جبال فاران، وهى مكة وأرض الحجاز.

ومن ذلك ما قال النبى ميشا (أى ميخا)[٢٢] فى الفصل الرابع من كتابه: «فى آخر الزمان تقوم أمة مرحومة، وتختار الجبل المبارك ليعبدون الله فيه ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ليعبدوا الله الواحد ولا يشركوا به شيئا»، وهذا هو جبل عرفات بلا شك، والأمة المرحومة هى أمه محمد ﷺ والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجيج بعرفات، وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم.

ومن ذلك: ما قال النبى إِشَعْيَا[٢٣] فى الفصل الثانى والأربعين من

---

(١٩) سفر حبقوق الأصحاح ٣ عدد ٣ ولفظه: «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران».

(٢٠) فى المخطوطة: «الثالث عشر».

(٢١) فى المخطوطة: «والقدس» والمثبت من سفر حبقوق.

(٢٢) سفر ميخا الإصحاح ٤ عدد ١:٣ ولفظه فى الترجمة الحديثة: «ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب».

(٢٣) سفر إشعيا الأصحاح ٤٢ عدد ١:٧ ولفظه: «هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى. وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصبح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حى يضع الحق فى الأرض وينتظر الجزائر شريعته».

وهكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحًا. أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك=

كتابه: «أن الرب سبحانه يبعث فى آخر الزمان عبده الذى اصطفاه لنفسه يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه، وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين، ويحكم بين الناس بالحق ويمشى بينهم بالعدل، وهو نور يخرجهم من الظلمات التى كانوا عليها رقود، وقد عرفتكم ما عرفنى الرب سبحانه قبل أن يكون».

وهذه - رحمكم الله - صفات نبينا محمد ﷺ واضحة مبينة، لأنه هو الذى بعثه الله فى آخر الزمان بعد أن اصطفاه لنفسه وجعله حبيبه وخليله من خلقه، وبعث إليه الروح الأمين جبريل (عليه السلام) يعلمه دينه، وهو وحى القرآن والسنة، وشرائع دين الإسلام. وقد بلغ النبى ﷺ كل ما أمره بتبليغه، وهو معنى قول هذا النبى وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين، وكان يحكم بالحق بين الناس ويمشى بينهم بالعدل، فإن كل ما أمر به، ودعا إليه، ونهى عنه أجمع أهل العقول على عدله وصوابه فى المأمورات والمنهيات، وما أنكره وكفر به من كفر إلا عنادًا ومكابرة للعيان، وتخبطًا فى حبال الشيطان بمحتوم الخذلان، والنور الذى أخرج به الناس من الظلمات، هو القرآن العظيم الذى أنزله الله عليه، وكلام هذا النبى إشعياء من أبين الأدلة وأوضح البراهين على ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ ولو ذكرت جميع ما فى كتب الأنبياء المتقدمين من ذلك لطال الكتاب، وأنا أرجو من الله تعالى أن أجمع لبشارات جميع الأنبياء به كتابًا مفردًا على وجه التفصيل.

= بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم، لتفتح عيون العمى لنخرج من الحبس المأسورين من بيت السجين الجالسين فى الظلمة».

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

(انتهى)

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الباب الأول

الصفحة

الباب الثانى

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الصفحة

الباب الثامن

الباب التاسع

رقم الإيداع		١٩٩٢ / ٢٣٤٨
الترقيم الدولى	977 – 02 – 3621 – 7	ISBN

١ / ٩١ / ١٤٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

